طريق الشعب

من زمن التوهج

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (2319) السنة الثامنة

الخميس (1) كانون الاول 2011

6

كمال مظهر ومنهجه في كتابة التاريخ

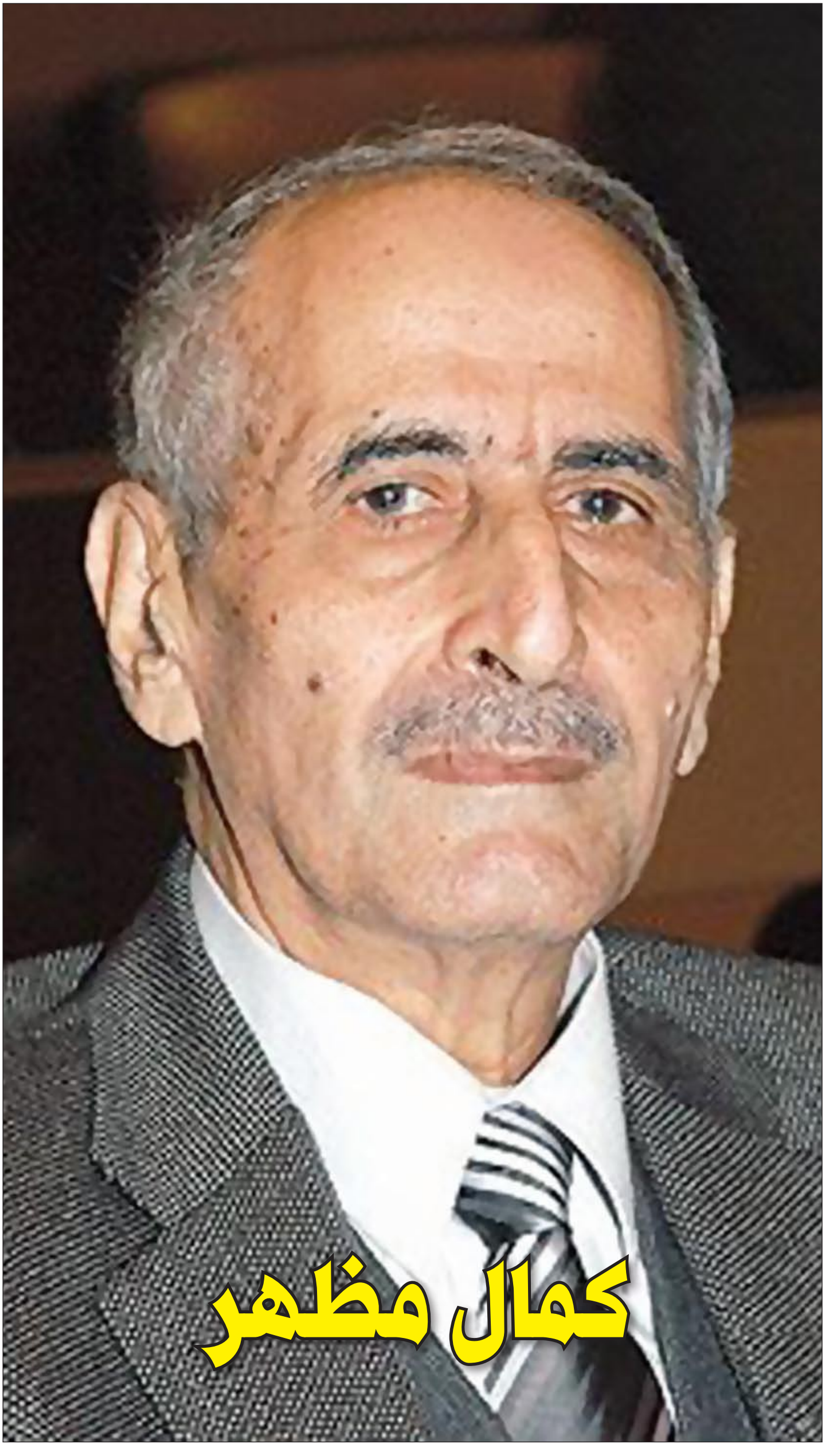

كمال مظهر

المنهج العلمي للتأريخ لدى
كمال مظهر احمد

زهير كاظم عبود

يتأثر علم التاريخ بحركة المجتمع وفلسفة التطور الاجتماعي بشكل عام ، وان فهم الحاضر لايمكن إن يتحقق الا بفهم الفترة التي تسبقه ، فالتدرج التاريخي لايمكن إن يوضح الحقيقة التاريخية ، والعراق من البلدان التي كتب عنها كتاب التاريخ العراقيين المعاصر كثيرا ، تبعا لجسامة الإحداث وأهميتها ، وبالنظر لأهمية الكتابة التاريخية كموضوع حيوي له أسس وطرق ونتائج كأي حقل من حقول المعرفة الإنسانية ، فقد برز في العراق عدد من المؤرخين تصدوا للكتابة التاريخية ، أن التاريخ العراقي المعاصر شارك في كتابته العديد من المؤرخين منهم على سبيل المثال لا الحصر : عبد العزيز الدوري وعبد الرزاق الحسني وفيصل السامر وسعيد الديوه جي وداود الجلبي وسليمان الصائغ وعباس العزاوي وكمال مظهر أحمد وسيار الجميل وغيرهم ..

غير ان العوامل التي أدت الى كتابة الأحداث التاريخية للعراق تتصل بالاتجاهات العامة للسياسة في العراق، وما رافق تلك السياسات من اختلالات ومن دعوات جاهرت بها تلك السلطات لكتابة التاريخ وفق مفهومها ونظرتها ورغبة قياداتها ، وقد كتبت الكتب والمناهج الدراسية على ضوء ذلك ، مما يدفع بالضرورة لتصحيح تلك المسارات ورسم الخطوط العريضة الواضحة في كتابة الأحداث ، ففي الوقت الذي كان السيد عبد الرزاق الحسني مدونا للأحداث تاركا لنا أرثا من المدونات التاريخية والمحاضر والوقائع العراقية في موسوعته تاريخ الوزارات العراقية ، بنفس الوقت فأنه لم يرتق لمستوى المؤرخ ولم ينهج مدرسة من المدارس التي تعتمد التحليل العلمي ، أنما عمد عن قصد أو دون قصد الى تشويه العديد من الأحداث والصور التاريخية العراقية في العهد الملكي ، فقد تعرض للكثير منها بما يتناقض مع الحقيقة مثلما سجله التاريخ عليه ولعل حقائق الأبزيدية مثالا واحدا على ذلك ، كما كان الدكتور عبد العزيز الدوري صاحب مدرسة ومنهج متحددا في مسارات البحوث ضمن نظرته القومية ، فأعتمد على التدوين وفق الرؤية التي تميز بها فكرة العروبي لأفاق الحقيقة التاريخية المجردة ، ولذا يبدو منهجه منحازا الى تفكيره العروبي المتشدد من خلال نظرته للتاريخ وتحليله للأحداث .

والدكتور مظهر متخرج من مدرسة الأستشراق السوفيتي وينحى في التفسير للوقائع التاريخية منحى ماديا للتاريخ ، بينما تخرج الدكتور سيار الجميل من مدرسة الأستشراق البريطاني ويتجه في تفسير التاريخ نحو تأسيس الفلسفة الحضارية ، وقد يختلف الرمزان باعتبار أن الأول يعتمد الفلسفة المادية والتحليل على اسس طبقية ، بينما يعتمد الثاني على الأسس التفكيكية ، والأول يهتم بالمراحل السياسية ، بينما يهتم الجميل بالبنى التاريخية الاجتماعية ولكنهما يتفقان على الأسس العامة في إعادة كتابة التاريخ ، ولكل منهما طريقته في التحقيق والتحليل

لذا فقد باتت عملية التدوين التاريخي بحاجة ماسة للحيادية وللجرأة في تقليب الحقيقة وعدم قبولها على علاتها ، وفي القدرة على تحليلها ، وقد نجد عذرا لعدم تمكن تلك الطاقات العراقية التصدي لكتابة التاريخ في زمن الدكتاتورية ، الا إن إنتهاء السلطة الدكتاتورية وحصول التشويه الأخر في التاريخ والحقائق جعل مهمة المؤرخ صعبة وعسيرة ولكنها ضرورة وطنية ، ومن خلال التصدي للاتجاهات الحديثة في كتابة التاريخ والاستفادة منها نستطيع إن نؤكد إن كتابا عراقيين يساهمون في تلك المهمة ويحرصون على تأكيد منهجهم في كتابة تاريخ العراق المعاصر ، حيث برز خير من يمثل هذه المهمة الكبيرة في الوقت الراهن كل من المؤرخ كمال أحمد مظهر والمؤرخ سيار الجميل ، وهما من قوميتين مختلفتين ، فمظهر كردي والجميل عربي ، ولكن كلاهما لم يخلط مشاعره القومية والعاطفية بالحقائق التاريخية ، وكلاهما أتسمت بحوثه بالموضوعية والجرأة والرصانة ، وكلاهما حددا منهجا علميا ودعيا الى إعادة كتابة التاريخ العراقي الحديث بعلمية وحياد وموضوعية .

أن تأريخ التاريخ مناهج وآراء ولعل من بين هذه المناهج ما رفع لواءه الدكتور كمال أحمد مظهر ، والذي يجد في تقليب الوقائع ومقارنتها بالوثائق والتقارير ، وفسح المجال للاستنتاج بعيدا عن العواطف والدوافع الشخصية وتراكم فورات الغضب التي تحتل حيزاً كبيراً في عقول متابعي الأحداث ، وهي بالتأكيد بعيدة عن الموضوعية بشكل عام .

هذا المنهج الذي اعتمده الدكتور سيار الجميل في الركون الى الحقائق ، ويبدو إن انسجاما في الرؤية وتوحدا في النتيجة يجمع كلا المؤرخين وهما يتبعان مدرستين مختلفتين في الرؤى والتحليلات ، الا انهما يلتقيان في الأسس ، مع إن لكل منهما طريقته ومنهجه ، الا انهما استطاعا خلال الحقبة الزمنية الفائتة من خلال البحوث والدراسات والرسائل والاطروحات التي أشرفا عليها ، أن يرسما أسسا وركائز علمية لمنهج تحليلي وتاريخي للعراق الحديث .. والعراقيون بحاجة ضرورية للالتزام به دون التقيد والتحدد بنفس الخطوات ، ولكن ضمن تقاليد معينة ، من اجل تفكيك الأختلاطات الحاصلة في القضايا التاريخية ضمن الفترات الملتهبة في تاريخ العراق الحديث والمعاصر ، وتبسيطها لتحليل مضامينها بشكل يسير وسهل ومقنع وصولا الى الحقيقة بالشكل المجرد قدر الإمكان ، مادام المنهج يعتمد الحيادية والموضوعية ، ليستند على تحليل أحادي ولا نظرة واحدة في التقييم والكتابة والسرد التاريخي ، واستدال تلك الحقائق دون إن نعتبر بشرا ما معصوما ، مهما كانت منزلته ومركزه وتأريخه الوطني ، ومن لايعمل لايخطأ .

اليوم قد تكون الحقيقة التاريخية غير معروفة ، ولكن في الغد هذه الحقيقة سوف تكون معروفة، فمن الأفضل ان نقول الحقيقة التاريخية كما هي وان نبحث عن الدوافع والأسباب ونحللها..

ويجد الدكتور كمال مظهر انه بعيدا عن التزمت فأنه يدعو لعقد مؤتمر علمي خاص لدراسة التاريخ العراقي بكل مجريات أحداثه والأسباب التي أدت الى وقوع تلك الأحداث ، يقول الدكتور كمال مظهر ينبغي تطبيق واقعي لشعار إعادة كتابة التاريخ من أناس جديرين بتلك المهمة غير السهلة ، لا من « وعاظ السلاطين « على حد تعبير الدكتور علي الوردي .

أن التقتيش بحيادية وسط مضامين مجموعة الوثائق التي أرخت للفترات السابقة وتنقيتها من الانحياز ومقارنتها بالمذكرات الشخصية والمحاضر والصحافة والشخصيات الوطنية التي عاصرت الأحداث لتمكين الباحث من التصدي للواقعة وتحليلها وكتابتها وفق سياقها العام من حيث التوثيق والتوضيح والتسلسل المنطقي ، ولذا فقد آن الأوان أن نعيد النظر في عدد غير قليل من الأحكام الشائعة غير المنصفة في تاريخنا المعاصر ، وأن لانقرأ الأحداث من وجهة نظر واحدة ونهمل الوجه الأخر ، وأن نضع النقاط فوق الحروف دون تردد ، ونعتبر من دروس التأريخ التي لايمكن لها إن تخطيء ، والحقيقة دوما هي العمود الفقري للتأريخ .

وفي حوار أجراه السيد مازن لطيف علي نشر في صحيفة المدى وفي صفحة الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق وجدت من الضرورة بمكان استعادة قراءته بإمعان يقول :

((ولد الدكتور كمال مظهر احمد عام ١٩٣٧ في مدينة السليمانية وحصل على شهادة البكالوريوس بمرتبة الشرف في جامعة بغداد عام ١٩٥٩، وحصل على شهادة الدكتوراه في معهد الاستشراق – أكاديمية العلوم السوفيتية – عام ١٩٦٣، ودكتوراه ثاوك D.S.C. من الأكاديمية نفسها عام ١٩٦٩.. صدر للمؤرخ كمال مظهر احمد اكثر من ٥٠ كتاباً، واشرف على العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه واشترك في مناقشة الكثير من الرسائل الجامعية وقد كان لنا معه هذا الحوار.

× في الدراسات التاريخية والماركسية بالذات أظهرت التجريد الشخصي والقومي وبدون إنحياز إلى طرف على حساب آخر، وهذا ما ظهر في دراسات ماركس في الثامن عشر من بروميير وكومونة باريس ١٨٤٨ فضلاً عن المحاضرات القيمة التي لخصها المؤرخ الانكليزي هوبز بوم في كتابه القيم «دراسات في التاريخ».. لماذا لم تظهر دراسات تاريخية تظهر الجانب الحيادي والموضوعي لكتابة التاريخ؟

– الماركسية علم عميق جدا ومن افضل المدارس الاشتراكية، وماركس احد كبار العمالقة الذين ظهروا في النصف الأول من القرن التاسع عشر وانا دائماً ارجع في هذه المناسبة إلى الأستاذ المرحوم مسعود محمد فهو لم يتفق مع الفكر الماركسي اذ كانت لديه بعض الاراء والطروحات الفكرية العميقة، فلم انس مقالته التي نشرها تحت عنوان «يا حكام العالم اتحدوا ويا عمال العالم تفرقوا» عكس ما قاله ماركس..

فعلاً عمال العالم لم يستطيعوا ان يتحدوا وعندما اتحدوا على صعيد القارة الأوربية لم يفعلوا شيئا مؤثراً، ولم يؤد ذلك إلى تحقيق الحلم الكبير الذي بشر به كارل ماركس، ومع ذلك كان المرحوم مسعود محمد يقر بأن كارل ماركس احد عمالقة الفكر في التاريخ البشري وكان يكرر قوله دائما لو خيروني ان اختار عشرة من كبار الفلاسفة والمفكرين في التاريخ البشري فدائماً اختار واحداً منهم، كارل ماركس، ولو خيروني ان اختار ثلاثة فلاسفة ومفكرين فسأختار ماركس واحداً منهم.. فالماركسية اكرر وأقول علم عميق اختلفنا معها ام اتفقنا وأضيف لو قدر لماركس ان يحيا ويعيش مخترعات القرن العشرين ومطلع القرن الواحد والعشرين فأنه حتما كان سيعيد النظر في طروحاته الفكرية وربما في العديد منها، اهتمت الماركسية بالتاريخ واعتبرته علما قائماً بذاته وأدت دورا كبيراً في شيوع التحليل الفكري للإحداث وليس مجرد سرد لها وعلى المؤرخ ان يكون حيادياً فانا لا استطيع ان انكر كرديتي ولكنني لا أترك لمشاعري الكردية ان تتدخل في عرض القضايا التاريخية. الحقيقة التاريخية تبقى ثابتة.. اليوم قد تكون الحقيقة التاريخية غير معروفة لكن في الغد هذه الحقيقة سوف تكون معروفة، فمن الأفضل ان نقول الحقيقة التاريخية كما هي وان نبحث عن الدوافع والأسباب ونحللها..

من الصعب فهم الماركسية دون الرجوع إلى مؤلفات لينين التي تبلغ ٥٥ مجلداً باللغة الروسية.. وماركس لم يفكر في روسيا مكاناً يتوقع ان تنتصر فيه الثورة الاشتراكية بل كان يتوقعها في المانيا أو انكلترا فالخلل ليس في الاشتراكية بل في هذا الجمود وعدم محاولة تجاوز نقاط الضعف التي كانت في الفكر الماركسي أولا وعدم الرجوع إلى مؤلفات لينين ثانياً والتركيز على الجوانب السلبية في الاتحاد السوفيتي لان هناك في المقابل إضافة إلى الجوانب السلبية جوانب ايجابية غير قليلة لأننا عايشنا هذا الشيء.

×ألا تزال مؤمناً بالفكر الاشتراكي؟

– كنت في شبابي إميل للفكر الاشتراكي لاعتقادي بان هذا الفكر يضمن سعادة الإنسان ويساعد على حل المشكلات القومية حلاً عادلاً جذرياً.. هذه العاطفة دفعتني وانا طالب في المدرسة الثانوية إلى ان انتمي إلى اتحاد الطلبة الذي كان منظمه شيوعية تعمل وتجتمع في الخفاء (١٩٥٢) وأتذكر جيداً الاجتماع السري الذي عقده الاتحاد لمناسبة وفاة ستالين في ذلك الحين في إحدى المقابر القريبة من ثانوية السليمانية، وكان معظم أصدقائي من الوطنيين الماركسيين وعندما دخلت الجامعة أصبحت مرشحاً في الحزب الشيوعي العراقي ونلت العضوية في عام ١٩٥٨، ولكن ابتعدت عن الحياة الحزبية نهائياً عام ١٩٦١ وكنت طالب دكتوراه في الاتحاد السوفيتي.. ومع ذلك فأني لم أزل مؤمناً بالفكر الاشتراكي ومدارسه الواقعية حسب قناعاتي.

×المعروف عنك إنك مؤرخ وباحث نزيه وجريء في كل ما تقول وتكتب.. ترى كيف استطاع الدكتور كمال مظهر ان يتكيف ويتأقلم مع السلطة البعثية؟

– كنت انوي البقاء خارج العراق بعد ان فصلت عام ١٩٦٣ مع مجموعة من الطلاب العراقيين الذين كانوا يدرسون في الاتحاد السوفيتي بحيث فرضوا علينا إما ان نترك الدراسة ونرجع إلى العراق او ان نذهب إلى بلد غربي، انا رفضت ذلك لاني كنت على وشك مناقشة أطروحتي الأولى فقبلوني كلاجئ سياسي وكنت انوي البقاء خارج العراق لكن بيان آذار هو الذي حركني وبعد صدور البيان حزمت أمتعتي ورجعت إلى العراق وكنت متحمساً للعمل وكنت مؤمناً بالوحدة الوطنية وهذا البيان كان خطوة مهمة للإمام وفعلاً عندما عدت.. اختاروني عضواً وأميناً عاماً في المجمع العلمي الكردي إلى ان حدثت الانتكاسة وتبين بان هذه خطة مناورة لئيمة من صدام حسين يحاول فيها ان يحتوي القضية الكردية بأسلوب كهذا اذ لم يستطع ذلك عن طريق السلاح فحاول ان يلتف على القضية الكردية فانتهت الأمور في عام ١٩٧٤ و١٩٧٥

×تطرقت إلى المجمع العلمي الكردي.. ترى لو تم اختيارك رئيساً للمجمع العلمي العراقي وبنفس الوقت تم اختيارك رئيساً للمجمع العلمي الكردي ماذا يكون اختيار د. كمال مظهر احمد؟؟

– اخبرني زميلي الدكتور عبد الرحمن معروف ان هناك توجهاً لاختياري رئيساً للمجمع العلمي الكردي القادم لكنني رفضت ذلك رفضاً قاطعاً وبالبداهة يكون موقفي من المنصب الأخر مشابهاً له في كل شيء مع العلم إنني أرى في المنصبين مهمة علمية نبيلة خطرة دون حدود لكني دخلت السنوات الأخيرة من عمري وفي جعبتي أشياء علمية وفكرية غير قليلة... ينحصر حلمي الأول والأخير في ان أنجز ذلك.))

العلامة الدكتور كمال مظهر احمد

د. اسماعيل ابراهيم سعيد

في سبعينيات القرن الماضي عندما كنا طلاباً في المرحلة الدراسية الجامعية الاولية في قسم اللغة الكوردية بكلية الآداب في جامعة بغداد نسمع عن شعبية الاستاذ الدكتور كمال مظهر بين الاساتذة والطلبة على حد سواء.

وكان احد زملائي وهو عربي في قسم التاريخ واحد تلاميذ الدكتور كمال في القسم المذكور يتحدث لي عن ابداعاته وغزارة معلوماته وتعامله اللطيف مع المحيطين به. وكنت اتمنى ان احضر احدى محاضراته وخاصة بعد ان قرأت بعض نتاجاته القيمة. وذات يوم في شهر آذار ١٩٧٤ جاءني ذلك الزميل العزيز واخبرني بان استاذنا الفاضل غاب بشكل مفاجئ...

نعم انه التحق بالثورة ولبى نداء اصحاب الحق، ومرت الايام ودارت السنين وازدادت شهرة الدكتور كمال مظهر احمد العلمية في الداخل والخارج واصبح معلماً من معالم الثقافة واحبه المثقفون العراقيون بدون استثناء وشاعت الصدفة ان نجده نحن طلاب الدراسات العليا في قسم اللغة الكوردية بكلية التربية –ابن رشد– نهاية التسعينيات حيث كان يختار زاوية في مكتبة القسم الكوردي المتواضعة بعد ان رفض العمل في كلية الآداب بسبب موقفه المشهود في تلك الظروف رغم محاولات وزير التعليم العالي وديوان الرئاسة انذاك والتي ادت فقط بعدم تقديمه الاستقالة من الوظيفة ورغم اعتزازه الشديد باساتذة وطلاب قسم التاريخ بكلية الآداب اختار كلية التربية قسم التاريخ بكلية الآداب اختار كلية التربية لكونها تخرج فيها والقسم الكوردي لكونه يجمع محبيه. وبدأنا معه احلى ايام الدراسة حينما كنا نحضر محاضراته القيمة في منهج البحث العلمي حيث تحقق الحلم ومن خلاله فتحت امامنا ابواب الثقافة الواسعة وازددنا الضبط واحترام الوقت والدرس واللطف والعفه والموقف وكبرياء النفس حيث كنا نعلم بانه في ذلك الوقت عرض عليه مختلف المناصب ولحد درجة الوزير وربما اكثر ولكن يجد نفسه اكبر من تلك المسؤوليات وكان على استعداد ان يضحي ليس بكل تلك الاغراءات وانما بحياته ايضا بدل ان يظهر موقفا ضعيفا لا سمح الله... لذلك كنا نحن الطلبة نرغب الاقتداء به بل الاخرين كذلك... لانه كان هناك قلة من الناس يرفضون المال والمغريات التي كانت الدولة تمطرها عليهم لكسبهم فامثاله كانوا ندر وهو على رأسهم، ورغم كل ذلك كان يفاجئ من لا يعرفه بتواضعه اللا محدود ففي احد لقاءاته يؤكد ذلك حين يبين اعجابه لقول المتنبي الرائع (ملء السنابل تنحني بتواضع/ والفارغات رؤوسهن شوامخ). ومن صفاته الجميلة والمميزة كان يحضر الدوام قبل بدء المحاضرة بساعة وكان يستقبل محبيه فيها فكانت تلك الجلسات الصباحية المبكرة تفوح منها رائحة المسك والعنبر وكذلك جلسات منزله وخاصة في آخر ايام العيدين (الفطر والاضحى) حيث كان يستقبل محبيه، وضيوفه كانت تتكون من مختلف الشخصيات الثقافية ومن مختلف الجامعات وكانت ابتسامته البريئة لا تودع شفتيه وتغطي الهدوء على الحوار وتبادل الاراء.

اتذكر جيداً نحن الطلاب كنا نشاركه الفرحة ولكننا في دواخلنا نقول كيف يجوز ان يجلس حامل اعلى شهادة دكتوراه واحد اقدر الاساتذة في هذه الزاوية والسلطة على علم به.. نعم كان استاذنا على يقين بان الشكليات تزول لذلك كان متمسكاً في مكانته في قلوب ابناء شعبه في الاعالي فهو دائم الشموخ وان زائريه سواء كانوا في منزله ام مكان عمله كثر ومن ارقى الشخصيات وانبل طلاب العلم. ومن هنا لابد من الاشارة الى موقف زملائه اساتذة قسم التاريخ في كلية الآداب الذين حافظوا على كرسيه الخاص ولم يسمحوا لاحد ان يجلس عليه لانهم اعتبروه موجوداً معهم وانه سيعود وفعلا بعد تغيير الجهاز الاداري في الكلية عاد الى مكانه في قسم التاريخ بكلية الآداب بعد مكوثه عدة سنوات في كلية التربية..

وكان دوماً يعتبر بموقف زملائه اولئك الذين احتفلوا بعودته..وفي الحقيقة كانت جلسات العلامة الدكتور كمال مظهر احمد تمثل سندانة ورد عراقية متكونة من الكورد والعرب من مختلف المناطق والمحافظات تكريت، نجف، انبار، بصرة، موصل وغيرها. وفي الوقت الذي نحن العراقيين بحاجة ماسة الى تلك النفحات نؤكد حاجة البلد الى تلك الجلسات التي تسوده النفس العراقي الاصيل في ظل الظروف الصعبة التي نعيشها في غياب دور المثقف العراقي من امثال العلامة الدكتور كمال مظهر احمد الذي حالياً خارج الوطن لغرض العلاج.

كمال مظهر احمد

اربعة عقود من الجهود المضنية لاستنهاض ما فات

حين كان استاذا في جامعة بغداد

حميد المطبعي
كاتب من العراق

على امتداد اربعة عقود كتب الدكتور كمال مظهر ودون التاريخ بروحية المؤرخ النزيه، مدفوعا بموضوعية علم التاريخ، وكانت نزاهته تعني التاريخ على حقيقته امام موضوعيته فهي التاريخ كما شاهده بتدفق في الاحداث، او التاريخ بحسب اطواره وتغيراته من حقبة الى حقبة ومن عهد ثابت الى عهد يتغير، وكانه يمسك بالمعضلة التاريخية من زواياها كافة، بدون انحياز مدرسي او تعاطف اكاديمي صرف اي انه تصدى للمعضلات التاريخية بعيدا عن مزاجه الذاتي الخاص، وهذه هي رسالته في تدوين عناصر التاريخ ويسميها الاكاديميون (مدرسة كمال مظهر في كتابة وتوريخ التاريخ).

وتقوم مدرسته التاريخية على:

١- ان المحركات غير المرتبة في تحليل الاحداث هي الاساس الاول في اكتشاف الحقيقة التاريخية.

٢- ان التاريخ لا يعيد نفسه، بل هو موجة تأتي لحظة ثم تغيب.

٣- لكل حدث ظروفه الخاصة، فلا تشابه بين حدث وحدث، كما لا تشابه بين ظروف كل منهما.

٤- اذا كان ثمة تماثلات بين حضارة وحضارة فهي في (الثوابت) وليس في التفاصيل اذ لكل حضارة روح تتحرك في احشائها، وارواح الحضارات كل يجري لمستقر (تولد وتنشأ ثم تهرم فتموت).

٥- ان المؤرخ، قارئ الحدث بلغة الاحساس العالي يستطيع ان يتنبأ من خلال حدث يحدث او عدة احداث متراكمة عن المستقبل ويستطيع ايضا ان يربط ربطا جدليا بين الماضي والمستقبل فالموهبة النفسية فطرة وتجربة وبوجود الاحساس العالي بهذه الفطرة والتجربة، قادرة ومؤهلة في اكتشاف واستنباط (الحقيقة التاريخية). ان التاريخ الحيوي لهو من اكتشاف ذوي النفوس المتمردة عالية الايقاع، عالية الجذب، عالية الاستفهام، عالية الايحاء..)

وكل هذه الاركان التي تشكل العمود الفقري في مدرسة المؤرخ كمال مظهر تجدها منسابة واضحة في ابحاثه ودراساته وكتبه حتى في محاضراته وندواته، وهو لا يعطيك اي ركن من اركانها قسرا او يقول لك افعل كذل واعمل هكذا، انما تلمسها برمز من رموز اللغة، او باشارة من الاشارات الموحية، انما يعطيك (معرفة تاريخية) وهما تاريخيا، وكانه يكتشف معضلة تاريخية في تلك المعرفة وفي ذلك الهم الطويل، وبدا به هذا او باستنباطه الروحي لحركة التاريخ تراه لا يبتعد عن (الهموم التاريخية الشائكة او المعقدة) كما ابتعد عنها مؤرخون كثيرون وبالعكس تماما، يقترب اليك بعد سلسلة من معاناة الاستقراء ويقدم لك الحصيلة كما ترغب بفرح القديس وبتواضع القديس ايضا.)

حتى صار لمدرسته التاريخية ، تاريخ يقرأ كما تقرأ الاناشيد في الهواء الطلق، وكثر تلاميذه، كانوا طلابا في بدء تكون مدرسته، واصبحوا اساتذة في الجامعة لينهجوا نهجه وملامحه الاستقرائية، وخارج الاكاديمية ازداد عدد قراء مدرسته وهم طبقات اهمها: النخبة من مشارب متباينة وايديولوجيات متعددة، ولاسيما خصومه اولئك يكرهونه ويعاندونه لابتعاده عن التزلف والرياء، اولئك يسمونهم (مؤرخون) لكنهم ليسوا سوى سكارى، بل صار اسم كمال مظهر اذا طرق في ناد ادبي او قاعة مجادلة في علوم التاريخ يعني المؤرخ الشريف عند ذوي النيات الطاهرة، ويعني المؤرخ (الشاذ) عند ذوي النيات الفاسدة، والقياس ان اصحاب النيات الطاهرة هم حصته الفضلى لانهم برأئه يطالبون المؤرخ بكتابة تاريخ يحرك العقول ولا يسجنها في حجر مغلق اما اولئك اصحاب النيات الفاسدة فلا يعير لهم ادنى اهتمام، لانهم وجدوا منذ الازل منذ وجد سقراط الاثيني حينما خاطبهم (انتم تركة الماضي اللعين..) ولقد انتعش التاريخ في قلب كمال وسار سيرا لا يقهر..

وهو اول عراقي بل اول دارس في الشرق الاوسط نال دكتوراه علوم من الاتحاد السوفيتي السابق في حقبة ستينيات القرن الماضي، وعندما عين في جامعة بغداد نهض بطلابه ليس متأثرا بالمنهج السوفيتي في تدوين وتشريح التاريخ، بل متأثرا بمنهج كمال مظهر الذي يرى التاريخ بعيون مفتوحة وبقلب واسع الافاق وبعقل تتواشج فيه القدرة الانسانية المنفتحة الحدود، قال لطلابه منذ الساعة اقرأوا كثيرا بروحية الصادق الامين، واذا كتبتم فاجعلوا الوثيقة اساسا للمادة حتى اذا اكتشفتم الحقيقة ارضيتم ضمائركم والبروفيسور كورديف والبروفيسور لازاريف جويس بلو والدكتور هلكوت حكيم.. كما انتقده اخرون كان الدكتور محمد محمد صالح والدكتور حسين قاسم العزيز ابرزهم.. كما نال اوسمة ودروع الامتياز وشهادات التقدير من الجامعات العراقية وعمادات كليات انسانية ومؤسسات ادبية وثقافية وعلمية وجميعها يشيد بعقله المتقدم او بذهنه المنقد في رحاب التاريخ..!

ومنذ اكتشف ان طلب الحقيقة يمر عبر البحث المستمر تحقق اجتهاده المتميز فاجتهد ان التاريخ ملك للحقيقة التاريخية واجتهد ان شهرته لايمكن ان تتجسد الا عبر الصدق والمعاناة وقوله الحقيقة والابتعاد عن الغش الدنيوي فكان .. كان واحدا من قليلين يكتمون ويؤرخون على صدق نيتهم الكريمة..!

النهضة

اوروبا تستيقظ من رقادها..!

وصدر الكتاب عن وزارة الثقافة والفنون عام ١٩٧٩، وكان الغرض من تاليفه تقديم صورة مركزة عن الخلفية التاريخية التي افضت الى خلق النهضة مع تجديد مراحلها وخصائصها ونتائجها الى جانب كشف ابداعات روادها فقد وجد الدكتور كمال ان النهضة تحتل مكانة جد بارزة في تاريخ اوروبا، بل في كل التاريخ الحضاري الانساني لما احدثت من تغيير في نظرة الانسان للحياة وفي تقويماته لمظاهرها بحيث انها غدت تشكل نقلة كبيرة ذات مضمون شامل في مسيرة التطور البشري تعددت اثارها حدود القارة الاوربية بشكل يحس المرء حتى اليوم باشاعاتها النيرة اينما كان. ولسببين درس الدكتور كمال عوامل وبنية النهضة:

١- الان المثقف الاصيل بحاجة الى ان يكون على المام كاف بتاريخ النهضة الاوروبية ان هو ادرك المتالفات في التاريخ الانساني، لان النظر الى المتالفات هو عينه النظر الى اسباب التطور البشري.

وتطرق الدكتور كمال الى حال واوربا في العصر الوسيط الذي اتسم بالتخلف والتزمت، والذي امتد حتى اواسط القرن الخامس عشر في رأي، او الى اواسط القرن السابع عشر في رأي آخر، ومهما يكن من امر تحديد الاطار الزمني لهذا العصر فان اواخره على رأي الدكتور كمال، شهدت بوادر تغيرات مهمة نقلت القارة الاوربية الى عصر حافل جديد وضعتها احداثه في وضع متميزعن معظم مناطق العالم الاخرى التي كان يعيش بعضها حياة بدائية، كما كان عليه الامر في القارتين الامريكيتين عند اكتشافهما..

ويرصد الاحداث التاريخية والاجتماعية التي شهدتها اوروبا ولاسيما الاجزاء الغربية منها، في فجر عصرها الجديد ، وهي في غاية الأهمية تحتل النهضة فيها مكانة بارزة، ولم تقع كل هذه الاحداث بصورة عفوية او اعتباطية، بل انها جاءت بمثابة تعبير طبيعي عن تغيرات عميقة بدات تاخذ مكانها بحكم عوامل محددة في قاعدة المجتمعات الاوربية الغربية قبل غيرها فانتقل اليها الثقل الحضاري لتبدأ من حيث وصل الشرقيون.

فأولا بدأت العلاقات الرأسمالية الجديدة تظهر وتنمو في زحم المجتمع الاقطاعي الاوروبي في القرون الاخيرة من العصر الوسيط مما تحول الى عنصر اساس في تسريع عملية انحلال القاعدة الاقتصادية لذلك المجتمع الذي اخذ يلفظ القديم ويتلقف الجديد.

ادى هذا التقدم الى تسريع عملية تراكم رأس المال في البلدان الاوربية بوتائر لم يعرفها التاريخ سابقا، ومن جراء هذه العوامل شهدت اواخر العصر الاقطاعي الاوروبي ميلاد طبقات عشر ظهرت العناصر الاولى للبرجوازية كطبقة في عدد من المجتمعات الاوربية الغربية وهي بدأت تتطور بسرعة ولعبت دورا اساسيا في التغييرات الاقتصادية والاجتماعية والفكرية، وكان منطقيا ان يأخذ ابناء هذه الطبقة قيادة دفة الحركة الثقافية والعلمية والفنية في عصر النهضة وتكونت في هذه المرحلة نفسها الطبقة العاملة في الاقطار الاوربية حتمت التغييرات الكبيرة التي شهدتها المجتمعات الاوروبية ظهور افكار جديدة تعبر عن مصالح واهداف الفئات والقوى الاجتماعية النامية التي خاضت مضطرة معمعان صراع مستديم مع القديم فغدت بحاجة ملحة الى تعابير ومتطلقات قوية تمثل واقعها وتستهدف تثبيت وتطوير مصالحها وقيمها، ولم تكن النهضة في اطارها العام سوى واحدة من الظواهر التاريخية التي رافقت مدة الانتقال من العصر الوسيط الى العصر الحديث.

منذ اكتشف ان طلب الحقيقة يمر عبر البحث المستمر تحقق اجتهاده المتميز فاجتهد ان التاريخ ملك للحقيقة التاريخية واجتهد ان شهرته لايمكن ان تتجسد الا عبر الصدق والمعاناة وقوله الحقيقة والابتعاد عن الغش الدنيوي فكان .. كان واحدا من قليلين يكتمون ويؤرخون على صدق نيتهم الكريمة..!

خصائص النهضة

ومن خلال خصائص معينة استخلصها الدكتور كمال جعلت النهضة ثورة ثقافية ذات طابع خاص في التاريخ الانساني، ومن هذه الخصائص:

١- لم تظهر النهضة في الاقطار الاوربية في وقت واحد لان ميلادها اعتمد على مدى تطور العلائق في القاعدة الاجتماعية لكل قطر، فهي ظهرت في ايطاليا وفي اقطار اوروبا الغربية قبل غيرها، بينما لم تمتد سوى ومضات منها الى بلدان اوروبا الشرقية والى مناطق الملقان التي كانت ترزح تحت الاحتلال العثماني.

٢- ارتبطت سرعة تطور النهضة بشكل مباشر بسرعة تطور العلاقات والمظاهر الاقتصادية – الاجتماعية الجديدة حسب البلدان الاوروبية المختلفة. وان ميلاد النهضة وتطورها لم يجريا على نسق واحد، بل اختلفا حسب البلدان والظروف ففي النهضة حصيلة جهد اوروبي في اطارها الضيق وعالمي في نطاقها الواسع.

٣- بالرغم من وجود عناصر مشتركة قوية بين مظاهر النهضة في البلدان الاوروبية المختلفة إلا انها مع ذلك تميزت في كل قطر ببعض الخصائص الذاتية الناجحة غالبا عن ظروفها المحلية التي حتمت التاكيد على مظهر معين اكثر من مظاهر النهضة الاخرى.

٤- لم يتقيد رجال النهضة ولاسيما في ايطاليا بالتخصص في مجال دون آخر، فغالبا ما كان الواحد منهم يتمسك بناصية حقول مختلفة من المعرفة والابداع الفني وخير مثال على ذلك هو الرسام الخالد ليوناردو دافنشي الذي كان نحاتا واديبا ومهندسا وعالما في الرياضيات كما اهتم بالطب اما كوبرنيكوس فانه كان مفكرا وعالما في الفلك ودرس الطب والقانون والفلك في بلاده وفي ايطاليا ، ولم يكن ميكافيللي مجرد مؤرخ او رجل سياسة فحسب بل كان ايضا فيلسوفا واديبا.

٥- اولى رواد النهضة خاصة في المرحلة الاولى من مسار تطورها اهتماما كبيرا بالنتاج الفكري لعصر ما قبل الاهتمام بالحياة والتعمق في فهم الطبيعة والتعبير عنها والاستفادة منها فقط عن طريق بعث التراث القديم.

٦- كان من الطبيعي ان يرتبط جانب مهم من ابتكارات عصر النهضة العلمية والتقنية بمصالح البرجوازية النامية مما نجسد بشكل واضح في التطورات الكبيرة التي حدثت في المجالات المتعلقة بالملاحة كتوطر صناعة السفن والتقدم الهائل في حقل الدراسات الجغرافية والفلكية التي كان يستحيل بدونها كشف الطرق التجارية الجديدة مع العالم القديم والجانب الغربي من الكرة الارضية فقد ظهرت نشرات جغرافية مختلفة احتوت على معلومات علمية واجتماعية مهمة وطريفة للرحالة استهوت حتى القارئ البسيط وازداد الاهتمام كذلك بالرياضيات والنبات وبعدد اخر من العلوم الطبيعية التي اسهمت باشكال مختلفة في تطوير الحياة الاقتصادية لبلدان اوروبا وفي تلبية حاجات ذلك التطور ، وهي عززت اسس الايدلوجية البرجوازية الجديدة باثباتها على اساس التجربة، بطلان الكثير من الاراء والافكار الاقطاعية البالية التي ظلت تسود المجتمعات الاوربية على مدة قرون طوال.

٧- يعد الانسانيون ايديولوجيي عصر النهضة، فهم الذين خطوا الخطوة الاولى في وضع الاسس الدنيوية للثقافة الجديدة.. وينحدر اصل مصطلح الانسانية والانسانيين كتعبير اجتماعي فكري ظهر في القرن السادس عشر من الكلمة اللاتينية (Hamanltas) والتي تعني الانسانية حرفيا وهي مقتبسة بدورها من كلمة (Homo) التي تعني الانسان وكانوا يقصدون التاكيد على الطابع الدنيوي للعلوم والاداب وقيمة الفرد في الحياة بعد تجريده منها على مدى قرون طويلة، ثم اكد الانسانيون على قضايا الفرد الحياتية وعلى وجهة نظره الى مظاهرها مع تمجيد افعاله التي كان من شأنها الترفيه عنه في حياة الدنيا، بل ان سعادة الذات كانت تسوغ في نظر معظمهم، سبل تحقيقها..

٨- شكل الجانب الاكبر من الاراء والافكار التي رافقت النهضة النواة الاولى للايديولوجية البرجوازية، ولكن تجاوزت جوانب معينة من تلك الافكاراحيانا اطار هذه الطبقة الجديدة لتعبير بشكل او اخر عن طموحات الفئات الاجتماعية الدنيا بما فيها الطبقة العاملة الوليدة، بل انها ارتبطت في احيان اخرى بالكنيسة وبالاقطاعيين كذلك، وقد نجم عن ذلك بعض الاختلاف والتناقض في مظاهر معينة للنهضة ولاسيما في الاتجاهات الفكرية التي برزت الى الوجود في عهدها.

كمال مظهر احمد... ومنهجه في كتابة التاريخ

جواد كاظم البيضاني

"تقع على المؤرخ مهمة خطرة وصعبة فهو مؤتمن وعليه ان ينقل الصورة بكل وضوح وأمانه وان يبتعد عن الأهواء والتطرف. فما يكتبه سيبقى وربما يعتمد كحقائق فإخراج الشوائب من هذه الحقائق التي سيدونها من خلال التحليل والموضوعية هي ابرز مهمة تقع على عاتق المؤرخ". هذا ما قاله لي الدكتور كمال مظهر احمد وقد التقيت به خلال اعداد رسالتي التي طبعت ككتاب حمل عنوان (موقف الاحزاب السياسية في العراق من القضية الكردية) وبين لقائي الاول والثاني فترة طويلة امتدت لاكثر من ثلاث سنوات. بيد ان أرائه لم تزل كما هي دون ان تغير .

والحقيقة ان الأكاديميين في العراق وبعض الباحثين انقسموا في توجهات هذا المؤرخ بعضهم وصفه باليساري المعتدل واخر حسبه على اليمين بل ان بعضهم وصفه بالقومي المتشدد وما بين هذه الآراء قواسم مشتركة ترتبط وعلميته ورصانة بحوثه ومصنفاته التي لم تدرس بشكل يتناسب ومكانته العلمية ولكن قبل ان نخوض في مثل هذه التفاصيل علينا ان نتعرف من هو كمال مظهر احمد فربما سمع عنه البعض دون معرفته بتفاصيل حياته ودراسته ؟

ولد كمال مظهر احمد في مدينة كركوك عام ١٩٣٧م ودرس الابتدائية والثانوية في السليمانية وحصل على شهادة البكالوريوس في التاريخ من جماعة بغداد عام (١٩٥٩) . وفي عام ١٩٦٣ حصل على شهادة الدكتوراه في التاريخ من معهد الاستشراف التابع لأكاديمية العلوم السوفيتية .عاد من موسكو وقد حصل على شهادة (DSC) ناوك عام ١٩٦٩ من المعهد ذاته؛ عاد الى العراق بعد صدور بيان آذار عام ١٩٧٠.

ويبدوا ان كمال مظهر قد تأثر بالأفكار اليسارية قبل مغادرته إلى الاتحاد السوفيتي يقول في ذلك : "أصبحت عضوا في الحزب الشيوعي العراقي قبل قيام ثورة الرابع من تموز وتحديدا في عام ١٩٥٧ . وكان الدافع لانضمامي الى هذا الحزب هو إيماني بأن الماركسية هي الطريق الصحيح لايجاد الحلول الناجحة لجميع مشاكل الشعوب بما في ذلك القضية القومية الكردية .." وحين غادر إلى الاتحاد السوفيتي اصيب بخيبة أمل كبيرة لانه لم يجد في هذه الدولة ما توقعه على ان ذلك لا يعني تخليه عن المبادئ الماركسية التي آمن بها يقول في ذلك :"الماركسية من افضل الافكار الفلسفية في الدنيا التي جلبت الخير للبشرية" ومهما يكن من امر فان كمال مظهر احمد عاد إلى العراق بعد صدور بيان آذار ١٩٧٠ حيث تم تعيينه مدرسا في كلية الاداب/ جامعة بغداد وتدرج في المناصب حتى رقي إلى الاستاذية عام ١٩٨١ ، وأعيرت خدماته إلى المجمع العلمي الكردي وشغل فيه منصب الامين ومساعد لرئيس للشؤون العلمية وسكرتيرا وقد اختير عضوا عاملا في المجمع المذكور عام ١٩٧١ ، واستمر سكرتيرا لمجلة المجمع من عام ١٩٧١ وحتى ١٩٧٥ اشرف الدكتور كمال مظهر احمد على العديد من رسائل الماجستير واطاريح الدكتوراه كما انه شارك في مناقشة عشرات الرسائل والاطاريح الجامعية. والقى عشرات المحاضرات العلمية في مختلف المؤسسات الثقافية في داخل العراق وخارجه كما ان له مشاركات في اكثر من(١٢) مؤتمر علمي في روسيا وفرنسا وتونس وقطر ولجهوده الفكرية والعلمية منح وسام المؤرخ العربي عام ١٩٨٦م وشارة الرواد عام ١٩٩٥م ودرع الامتياز الادبي من اتحاد ادباء العراق عام ١٩٩٥ مع شهادة تقديرية من الاتحاد العام للكتاب والمؤلفين العراقيين.

يعتقد كمال مظهر احمد ان اكثر التواريخ تشويهاً واضطرابا هو تاريخ الشعب الكردي ونتيجة ذلك يدعوا إلى ضرورة اعادة كتابه التاريخ وفقا للحقائق التاريخية بعيدا عن الميول والاهواء ويرى ان :"اعادة كتابة التاريخ بالتاريخ نفسه من دون خلق تاريخ جديد لا صله له بالواقع" ويرى ان للمستشرقين فضلا كبيرا بالتعرف على تاريخنا من خلال جهودهم في البحث والاستقصاء التي قاموا بها للتعرف على تاريخ الشرق دون ان يخفى بداية الاستشراق الاولى التي قامت كرد فعل لفشل الحروب الصليبية يقول في ذلك :"بداية الاستشراق وظهور لاول مرة كان كرد فعل لفشل الحملات الصليبية على الشرق الاسلامي فأراد النيل عن طريق الفكر وعن طريق التاريخ من العالم الاسلامي .." ثم يقول :"ولكن فيما بعد وبالتدريج تحول الاستشراق وبسرعة إلى جزء مهم من الدراسات التاريخية، ولولا المستشرقين لما كنا نعرف نحن اشياء كثيرة .."والحقيقة ان كمال مظهر احمد من اعلام التاريخ في العراق فنتاجه الفكري والعلمي تميز بالواقعية .وغطى في بحوثه ومؤلفاته تاريخ العراق رغم اهتمامه الواضح بقضية شعبه وهو بذلك جمع ما بين كرديته وعراقيته .

ابرز مؤلفاته :

عندما سؤل الدكتور كمال مظهر احمد عن ابرز مصنفاته قال :"كانوا يسألوني عن اهم كتبي ، وعلى الرغم من ان المؤلف جميع كتبه عزيزة عليه ، فكنت سابقا اقول كتابي كردستان في سنوات الحرب العالمية الاولى .. ثم قلت ان اهم كتبي كركوك وتوابعها ، الا اني اقول الان ان من اهم كتبي كردستان في الوثائق البريطانية ، لانني وجدت ان التاريخ الحقيقي للكرد وللعراقيين هو محفوظ في تلك الوثائق..." والحقيقة ان كل كتب الدكتور كمال مظهر مهمه ولعل ابرز تلك الكتاب الاتي :

١- كردستان في سنوات الحرب العالمي الاولى . طبع هذا الكتاب في مطابع المجمع العلمي الكردي سنة ١٩٧٥ باللغة العربية وقد ترجم من قبل محمد ملا عبد الكريم المدرس وطبع عام ١٩٧٧م وهو من ابرز الكتب التاريخية التي تبحث في تاريخ كردستان المعاصر قال عنه عبد الرزاق الحسيني :"فأن فيها من المعلومات والطرائف ما لا نجد مثلها في المظان الاخر ، غريبة كانت ام اجنبية". والحقيقة ان هذا الكتاب يتحدث عن مرحلة خطرة مرت بها المنطقة الكردية بداية من الإطماع الروسية والأوربية الأخرى .. مرورا بالحروب التي حدثت بين روسيا القيصرية والعثمانية. كذلك تناوله لمرحلة مهمة من تاريخ العلاقات بين الشعبين الارمني والكردي وما قيل من اتهام الكرد بالدم الارمني.

الكتاب من اروع ما كتب عن تاريخ الكرد وهو يتحدث عن حقائق ترتبط بتاريخ ايران وتركيا والعراق ويكتسب هذا الكتاب اهمية من اعتماد مصنفه على مصادر تاريخية مهمة مثل الكتب التي طبعة باللغة العربية في فترات سابقة واكتب ومصادر روسية وانكليزية وكردية وفارسية وتركية. على ان قسم من هذه المصادر اعتمدت على وثائق مهمة كما هو الحال بالنسبة للمصادر الروسية .

وهناك جانب اخر ميز هذه الدراسة هو قيام المصنف بأعطاء ترجمة وافية لعدد كبير من المؤرخين الروس المهتمين بالشأن الكردي اضافة إلى عرضه لجوانب ترتبط والأوضاع العامة التي عاشها الناس فالمصنف لم يركز حصرا على عرض الجوانب السياسية بقدر تناوله الجوانب الاخرى من اقتصادية واجتماعية . والحقيقة ان هذا المصدر يعد الابرز بين كتب الدكتور كمال مظهر .

٢- اما الكتاب الاخر المهم فهو (الطبقة العاملة العراقية التكون وبدايات التحرك) هذا الكتاب طبع في بيروت عام ١٩٨١ تحدث فيه عن بداية تكون الطبقة العاملة العراقية واواخر القرن التاسع عشر ثم يتحدث عن الجذور الاولى للطبقة العمالية قبل الحرب العالمية الاولى ويتطرق إلى بعض القضايا المهمة التي تتصل بما نعيشه الآن نحو انتشار البطالة بين العراقيين مع وجود العمال الاجانب ويتحدث في الفصل الرابع عن الحركة العمالية العراقية من عام ١٩١٨ إلى عام ١٩٣٣ مع ظهور الجمعيات العمالية والحرفية وحديثة عن ابرز ما كان يواجه الطبقة العاملة من ظروف . الكتاب

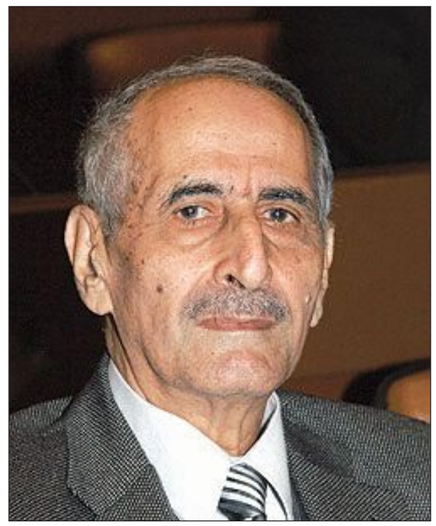

هو من مصادر التاريخ المعاصر المهمة فقد تنوعت مصادره بين مقابلات شخصية وصحافة يومية ومصادر روسية وانكليزية وعربية وكردية ويبدوا ان تمكن الدكتور كمال مظهر من اللغة الروسية والانكليزية والفارسية والتركية والعربية اضافة إلى لغته الام مكنته من اعتماد مصادر مهمة عززت من رصانة الكتاب العلمية .

٣- الكتاب الاخر هو (دور الشعب الكردي في ثورة العشرين) طبع هذا الكتاب في بغداد عام ١٩٧٨ طبعة واحدة بأكثر من (١٨٠) صفحة ومن الملاحظ ان معظم من تناول سيرة كمال مظهر لم يشير لهذا الكتاب رغم أهميته فهو يتحدث عن مرحلة مهمة من تاريخ كردستان معلل اسباب ضعف المشاركة الكردية في ثورة (١٩٢٠) التي اجتاحت بعض مناطق العراق بالقول :"تأتي على رأس قائمة العوامل التي وجهتها قوات الاحتلال لجماهيرها خلال العام ونصف العام الذي سبق انفجار الموقف في الوسط والجنوب".

وللدكتور كمال مظهر كتب اخرى منها :-

أ- اضواء على قضايا دولية في الشرق الاوسط . طبع هذا الكتاب باللغة العربية عام ١٩٧٨ .

ب- صفحات من تاريخ العراق المعاصر ، دراسة تحليله ، طبع هذا الكتاب باللغة العربية عام ١٩٨٧ .

ت- ميكافيلي وهو من الكتب الرائعة صدر في بغداد باللغة العربية في عام ١٩٨٤ .

ث- كتاب (النهضة) الذي صدر هو الاخر في عام ١٩٨٩ .

ج- كما له كتاب يعد من ابرز كتبه وهو (كركوك وتوابعها) وقد اطلع الباحث عليه وهو لا يرقى من حيث الاهمية كتبه السابقة . يحاول الدكتور كمال مظهر الوصول إلى ان جذور كركوك التاريخية واصولها وعائديتها ، طبع هذا الكتاب في اربيل في (دار ئاراس) وباللغة العربية .

كما انه كتب بمجلات عديدة منها مجلة الاديب الكردي ، والثقافة الجديدة وله مقالات وبحوث في مجلة شمس كردستان وله كتب اخرى وقد بلغت من قبل مقربين من الدكتور مظهر بانه عاكف الآن على تدوين مذكراته .

منهجة :

يرى الدكتور كمال مظهر ان دراسة التاريخ في العراق :"تفتقر إلى التحليل الى حد ما وتغلب عليها العواطف والهواجس الشخصية" ثم يقول :"ما ارياده هو التحليل ، وهذا هو الجانب الذي ينقصني العديد من الدراسات التاريخية" وحسب قوله فهو ينتمي إلى المدرسة الواقعية التي تؤمن بالتحليل التاريخي والحقيقة ان طرائق البحث التاريخي عديدة منها (الطريقة الانشائية والطريقة الفيلولوجية ، الطرائق الوصفية ، الطريقة الاحصائية ، الطريقة التحليلة ، والطريقة السوسيولوجية) على ان الطريقة التحليلة تعتمد مبدأ لتحليل للنص في العمل الكتابي وهي :"تضمن للمؤرخ مادة بحث تاريخية غزيرة لا توفرها طرائق البحث الاخرى بأساليب الاسئلة والمقارنة المستمرة ووسائل التحليل الاخرى بحيث تضمن للقارئ في نهايتها قراءة مشوقة" ان منهجية الدكتور كمال مظهر تميل إلى التحليل في كتابة التاريخ لاعتقاده ان مهمة المؤرخ ليس سرد الاحداث بقدر تحليلها بصورة موضوعية ويدعوا إلى ضرورة دراسة عصر المؤرخ لان ذلك يوصلك إلى مقدار ما يتعرض له المؤرخ من ضغوط خلال كتابته لاحداث . ويبدوا انه يميل إلى اعادة كتابة التاريخ :"وفقا للحقائق التاريخية لا وفقا للاهواء والميول" لقد تعامل الدكتور كمال مظهر احمد مع الوثائق التاريخية بصورة علميه في كتابه كردستان في سنوات الحرب العالمية الاولى خاصة الروسية منها وعرضه أرائه بشفافية فتراه يعالج ظروف المذابح التي تعرضت لها القرى الكردية على يد الارمن بعد الاجتياح الروس لمنطقة راوندوز يقول في ذلك:"كان الارمن الذين تغيض قلوبهم حقدا وضغينة لما اصابهم من قبل ، يبغون الثأر فانطلقوا يفتكون امام انظار الجنود الروس بسكان راوندوز حيث راح حوالي خمسة الاف رجل وامرة وطفل كردي ضحايا". ويقول "معظم هؤلاء لم يقتلوا بالرصاص ، وانما القوا في نهر راوندوز احياء".

هذه هي الموضوعية التي ينادي بها كمال مظهر الذي يعتقد ان الاكراد في هذه المرحلة استخدموا ورقة في صراع المصالح بين القوى العظمى فأين كان الفرنسيين عندما حدثت المجازر واين كان البريطانيين من كل ذلك؟ ويعلق عن الاصوات التي نادت بالتحقيق بذلك بالقول :"لقد كان ، اذا جاز القول ، قطرة من الشهامة والنبل وسط بحر من الدماء" ولعل المنهجية والمسلك الصريح والصحيح في النقد والتحليل هي التي جعلت منه كمال مظهر . والحقيقة ان الصراحة والجرأة هي اهم ما يميز هذا المؤرخ الذي يقف في طليعة المؤرخين الكرد بل على رأس المؤرخين العراقيين .

من المؤرخين العراقيين المعاصرين المتميزين .. له حضور فاعل على الساحة الثقافية العراقية منذ أوائل السبعينات من القرن الماضي .. أستاذ جامعي ومؤرخ وباحث من الطراز الأول . لـه كتابات ودراسات نشر بعضها في الصحف العراقية والعربية والأجنبية . كما أجريت معه حوارات صحفية كانت معظمها تدور حول القضية الكوردية ولكونه كورديا كان يؤكد باستمرار على مبدأ ثابت عبر عنه أكثر من مرة وملخصه انه ((إذا لم أكن كرديا أصيلا فلن أكون عراقيا أصيلا)) .

ولد الدكتور كمال مظهر احمد الحاج رسول في قرية اخجلر وهي في ناحية تابعة للواء كركوك سنة ١٩٣٧ . كان والده ضابط شرطة . أنهى دراسته الثانوية سنة ١٩٥٥ ودخل دار المعلمين العالية (كلية التربية فيما بعد) ببغداد وتخرج فيها سنة ١٩٥٩ . وقد حصل على البكالوريوس في التاريخ بمرتبة الشرف سنة ١٩٥٩ .

سافر الى الاتحاد السوفيتي السابق لإكمال دراسته العليا وحصل على الدكتوراه سنة ١٩٦٣ من معهد الاستشراق التابع لأكاديمية العلوم السوفيتية ولم يقف عند هذا الحد ، بل استمر للحصول على دكتوراه ناؤوك من المعهد ذاته سنة ١٩٦٩ وهي أعلى شهادة معروفة في الاتحاد السوفيتي آنذاك .

عاد الى العراق وعمل مدرسا في قسم التاريخ بكلية الآداب ورقي إلى مرتبة الأستاذية سنة ١٩٨١ . أعيرت خدماته الى المجمع العلمي الكردي وشغل منصب الأمين العام ومساعد رئيس المجمع للشؤون العلمية بين سنتي ١٩٧١ و١٩٧٥ . كتب عنه صديقنا الأستاذ حميد المطبعي في موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين (الجزء الأول ، بغداد ، ١٩٩٥) .

اشرف على العديد من رسائل وأطروحات الدراسات العليا في جامعات عديدة وكانت معظم هذه الرسائل والاطروحات تدور حول الشؤون الإيرانية وقضايا تاريخ العراق المعاصر والسياسة التركية ومسائل الفكر والاستشراق والشخصيات التي قدر لها أن تقوم بدور مهم في تكوين العراق الحديث والمعاصر .

كان الأستاذ الدكتور كمال مظهر احمد يؤكد باستمرار على أهمية الأخوة العربية الكوردية ليس على مستوى الوطن فحسب وإنما على المستوى القومي . ومما كان يصرح به باستمرار أن الكورد كسبوا بعد دخولهم الدين الإسلامي الشيء الكثير فلقد ((تحولوا إلى عنصر مهم . من عناصر بناء الحضارة العربية الإسلامية والشواهد في هذا المضمار أكثر من أن تحصى ومنها مثلا جيش صلاح الدين الأيوبي ، فالمؤرخ عماد الدين الكاتب والمؤرخ ابن الأثير الذي قلما يلتقي مع عماد الدين كاتب صلاح الدين الأيوبي في هكذا قضايا يؤكد أن نحو نصف جيش صلاح الدين الأيوبي كان من المتطوعين الكورد وهناك شواهد أخرى كثيرة ...)) .

للأستاذ الدكتور كمال مظهر احمد مؤلفات عديدة وخاصة باللغتين العربية والكوردية . ومن مؤلفاته المطبوعة:

- كردستان في سنوات الحرب العالمية الاولى (طبعتان ١٩٧٧ ، ١٩٨٤)
- ثورة العشرين في الاستشراق السوفيتي ١٩٧٧
- اضواء على قضايا دولية في الشرق الأوسط ١٩٧٨
- دور الشعب الكردي في ثورة العشرين العراقية ١٩٧٨
- النهضة ١٩٧٩
- الطبقة العاملة العراقية ١٩٨١
- ميكافيلي والميكافيلية ١٩٨٤
- صفحات في تاريخ العراق المعاصر ١٩٨٧
- كركوك وتوابعها : حكم التاريخ والضمير ٢٠٠٤

وكل هذه المؤلفات باللغة العربية . كما ان له مؤلفات اخرى باللغتين الكوردية والروسية

حول ميله للتاريخ واهتمامه به قال بانه أحب التاريخ بتأثير مدرس اسمه محمد حويبس درسه في كويسنجق وقد أصبح هذا فيما بعد عضوا في المجلس التشريعي لكوردستان العراق .

وفي المرحلة الجامعية تأثر بمجموعة من أساتذة التاريخ المعروفين أبرزهم الأستاذ الدكتور زكي صالح والأستاذ الدكتور مجيد خدوري . كما تعلم من علي حيدر سليمان ، وأعجب بكتاباته وخاصته كتابه الذي ألفه سنة ١٩٢٩ وكان كتابا مدرسيا لطلبة الصف الثالث المتوسط وعنوانه (المدنية الأوربية) .

مؤخرا أجرت معه احد القنوات الفضائية بعنوان ((صفحات من تاريخ العراق مع الدكتور كمال مظهر احمد في برنامج ذاكرة)) . وقد أكد في هذا الحوار انه يعكف حاليا على تقويم ما تعارف عليه المؤرخون وخاصة فيما يتعلق بتاريخ العراق المعاصر ومن ذلك مثلا أن هناك شخصيات عراقية خدمت العراق لكنها تعرضت للظلم وأبرزها شخصية الملك فيصل الأول وشخصية نوري السعيد وشخصية الدكتور محمد فاضل الجمالي . ويحمل الدكتور كمال مظهر احمد كل القوى السياسية الفاعلة خلال المدة الواقعة بين سنتي ١٩٥٨ و٢٠٠٣ مسؤولية التقاتل والاختلاف وأضاف ((كان ينبغي ان يبقى الجميع في خندق واحد لان ما يجمعنا هو اكثر من الذي يفرقنا)) . ويعيب الدكتور كمال مظهر احمد على تلك القوى بانها اندفعت باتجاه الانفعال وابتعدت عن المساومة ، والمساومة لاتنتقص من الكرامة ونحن اليوم بحاجة الى الحكمة ، وعندما اقتضت الحاجة ومصلحة الاسلام

كمال مظهر احمد وحركة كتابة التاريخ في العراق المعاصر

أ.د. ابراهيم خليل العلاف
باحث واستاذ جامعي

دخل الرسول محمد صلى الله عليه وسلم في مفاوضات مباشرة مع قريش (من دخل دار ابو سفيان فهو آمن) على الرغم من ان عم الرسول قد قتل من قبل ابي سفيان ، فالرسول الكريم دخل في المساومة من اجل رفعة الدين الاسلامي فلا سياسة دون مساومة .. التكتيك في العمل اليومي والثبات في الاستراتيجية .

اهتم الاستاذ الدكتور كمال مظهر احمد بتوثيق جوانب مهمة من التاريخ الكردي وابرز دور الصحافة الكردية ومن ذلك كتابته عن جريدة (تكيشتن اراستي) أي فهم الحقيقة (بالكردية) وهي صحيفة أصدرها الإنكليز بعد احتلالهم بغداد في ١١ آذار ١٩١٧ .

يؤكد الدكتور كمال مظهر احمد على الوثائق ولا يغفل أهمية المذكرات وقد ساعد في إصدار مذكرات كل من احمد مختار بابان وفؤاد عارف لكنه يحذر طلابه وقرائه من الوقوع تحت تأثير أصحاب المذكرات فالمذكرات مصادر أصيلة ومهمة ولكن على الطالب والباحث ان يكون سيد مادته وليس عبدا لها .

فيما يتعلق بسقوط الدول يقول الدكتور كمال مظهر احمد انه كمؤرخ يؤمن بان العوامل الداخلية هي الأساس لخلق الحدث التاريخي . اما العوامل الخارجية فلا يمكن الا ان تكون عوامل مساعدة وفي حال توفر الظروف المناسبة او التربة المناسبة لكي تفعل العوامل الخارجية فعلها . ويضرب على ذلك مثلا فيقول : ((عندما يحاولون اليوم إلقاء تبعة انهيار الاتحاد السوفيتي السابق على شخص غورباتشوف او المخابرات الامريكية ..فإنني أقول من خلال المتابعة الدقيقة أن المخابرات السوفيتية كانت أقوى بكثير من المخابرات الأمريكية حتى انه شخصا مثل وزير الدفاع الفرنسي في عهد ميتران كان على ارتباط بالمخابرات السوفيتية او فيليبي البريطاني المعروف ، ومع ذلك تمكن الغرب من النيل من الاتحاد السوفيتي لان النيل كان في الانهيار الداخلي .. علينا ان نعيد النظر في مواقفنا)) .

ويؤكد الدكتور كمال مظهر احمد ان المصالح المشتركة تجمع عادة مجموعة من القوميات في إطار شعب واحد .. ((وما يجمعنا نحن العرب والكورد أكثر بكثير مما يفرقنا وان بسطاء الناس يدركون هذه الحقيقة بصورة جيدة)) .

في مقابلة أجراها معه محرر في جريدة العراق (البغدادية) ونشرت في العدد الصادر يوم ٢١ تموز ٢٠٠١ يقول الدكتور كمال مظهر احمد ((إن التاريخ الكوردي لم يدرس بعمق وبعلمية على صعيد الوطن العربي إلا ما ندر ، بينما نحن بحاجة إلى دراسته بصورة عميقة ، والمصلحة تقتضي ذلك وإننا بحاجة إلى إعادة بناء الجسور .. ومع ذلك فانا متفائل وأتوقع ان كل هذه الأمور ستتحول إلى الماضي والى دروس وعبر)).

يقول السيد زهير كاظم عبود في مقال له عن الدكتور كمال مظهر احمد منشورا على الموقع الالكتروني (البوابة العراقية) يوم ١٤ تموز٢٠٠٥((ان الدكتور احمد ليس صاحب تجربة كبيرة في الدراسات التاريخية ، وانما صاحب تجربة فكرية وسياسية خاضها ضمن تفاصيل العمل السياسي العراقي)) . والباحث يتلمس بحق تمسكه الوطني من خلال اعتزازه القومي بالكورد والذي يشكل رافدا من روافد النسيج الوطني العراقي .

كرم الدكتور كمال مظهر في العراق من بيت الحكمة وهو مؤسسة فكرية كبيرة (تشرين الثاني ٢٠٠٢) مع نخبة من المفكرين والعلماء والمبدعين أمثال الدكتور عبد الصاحب حسن علوان (الدراسات الاقتصادية) والدكتور فاضل زكي محمد (الدراسات السياسية) والأستاذ حكمت عبد الله البزاز (الدراسات التربوية) ومما قالته احدى الصحف البغدادية ((وتظهر الشخصية العلمية الكوردية المعروفة الأستاذ الدكتور كمال مظهر الحاج رسول لتسلم جائزته بتواضع العلماء وقد مضى على حصوله على شهادة الدكتوراه أكثر من خمسة وثلاثين عاما وهو لا يزال طالبا وأستاذا فهو يقرأ بقدر أو أكثر مما يقرأ طلاب العلم وفي ذات الوقت فهو أستاذ في كلية الآداب ،جامعة بغداد ، اشرف على عشرات الرسائل والأطاريح وناقش المئات منها .. ولا يزال يعتقد انه في بداية طريق العلم)) .

الخلاصة فان صديقنا وزميلنا المؤرخ الأستاذ الدكتور كمال مظهر احمد يعد معلما من معالم المدرسة التاريخية العراقية المعاصرة ، وقد عرفناه منذ سنوات بعيدة ، أستاذا مقتدرا ، وباحثا أصيلا ، والاهم من ذلك كله إنسانا فاضلا.

المؤرخ كمال مظهر أحمد: -

دراساتنا التاريخية تغلب عليها العواطف والهواجس الشخصية

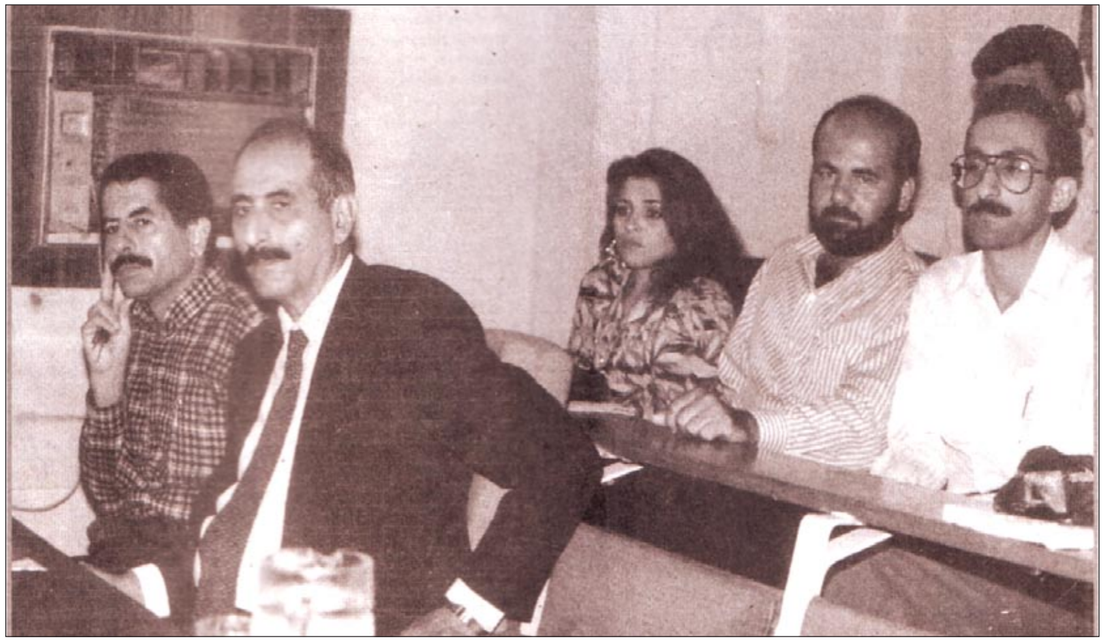

كمال مظهر يناقش طلبته

تأثر بطه باقر وعبد العزيز الدوري

لقاء اجراه الدكتور

رشيد الخيون

المؤرخ الكردي كمال مظهر أحمد أحد بقية جيل من المؤرخين العراقيين الذين سخروا كل حياتهم بحثاً في الماضي العراقي. وهو من الجيل الثاني بعد الجيل الأول: جواد علي، وعبد العزيز الدوري، وطه باقر، وصالح أحمد العلي، ومحمد أمين زكي، وغيرهم. وهو ما زال مقيماً ببغداد، ويدرس مادة التاريخ لأجيال من طلبة الدراسات العليا. ولولا المصادفة لكان الآن من مؤرخي التاريخ العراقي القديم، أو أحد علماء الآثار، إذ كان متأثراً إلى درجة كبيرة بأستاذه طه باقر. إلا أن الحاجة للبحث في تاريخ قومه الكرد جعله يقدم تلك الرغبة.

ورغم تجربته الحزبية داخل اليسار العراقي حتى ١٩٥٩ إلا أن قراءته للتاريخ جعلته يميل إلى إنصاف شخصيات كان في يوم من الأيام يدعو لإسقاطهم، حتى طلب من أحد طلبته أن يجعل أطروحته الجامعية حول شخصية نوري السعيد، ويدافع عنه على شاشة التلفزيون. كذلك قد لا يرضى عنه الكثيرون بسبب اعترافه بذكاء صدام حسين، وإشادته واستماعه الجيد لمحاوريه.

إنه، وزملاء له آخرين، يجسدون اصالة المؤرخ وموضوعيته بعيداً عن العاطفة، ودأبه على البحث، وتسجيل ما يملي عليه ضميره وواقع الحدث. حرصت على اللقاء به، وإجراء هذا الحوار معه، عرفاناً بسعة علمه، ونقائه من المؤثرات في البحث التاريخي، وحضوره الممتد عبر كتبه وطلبته من جنوب العراق إلى شماله،

إلى جانب إيمانه بالوحدة العراقية اختياراً لا جبراً وقمعاً.

كيف اتجهت إلى دراسة التاريخ؟

- بدأت علاقتي بالتاريخ وأنا في الصف الثاني المتوسط بالسليمانية، عن طريق مدرسنا القادم من كويسنجق. كان يلقي علينا درس التاريخ بأسلوب مشوق للغاية، فشدني بأسلوبه كثيراً لهذه المادة. ومن بعد أثرت في الكتب التي ألفها للمنهج الإعدادي زكي صالح، والدكتور مجيد خدوري. وفي دار المعلمين العالية اخترت الدراسة في قسم التاريخ، ومعلوم أنها المؤسسة العلمية التي تخرج فيها عمالقة الفكر اللغوي والتاريخي بالعراق الحديث: محمد مهدي المخزومي، وجواد علي وغيرهما. ثم تابعت مؤلفات المؤرخ المعروف عبد العزيز الدوري، وتعلقت بها إلى درجة كبيرة، وقد واكبت دراساته حتى بعد هجرته من العراق،

وعندما كنت أزور عمّان أقصده. هذا، إضافة إلى تأثري بعدد من المؤرخين الكرد، وفي المقدمة منهم محمد أمين زكي، صاحب كتاب «خلاصة تاريخ الكرد وكردستان». بعدها تخرجت في دار المعلمين العالية، بدرجة الشرف، أنا وزميلان هما: الدكتور عرفان عبد الحميد، وقد تخصص بعدها بالفلسفة الإسلامية بانجلترا، والدكتور فاروق عمر فوزي، وقد تخصص في التاريخ الإسلامي، وتخرج من انجلترا أيضاً. وكنا أول دورة بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، وأتذكر أن عبد الكريم قاسم وزع الشهادات علينا شخصياً، ومن هنا بدأت رحلتي الجادة في مجال التاريخ.

رغم تجربته الحزبية داخل اليسار العراقي حتى 1959 إلا أن قراءته للتاريخ جعلته يميل إلى إنصاف شخصيات كان في يوم من الأيام يدعو لإسقاطهم، حتى طلب من أحد طلبته أن يجعل أطروحته الجامعية حول شخصية نوري السعيد، ويدافع عنه على شاشة التلفزيون.

وما هو مجال تخصصك في مجال التاريخ؟

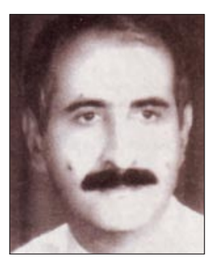

. بعد ثورة تموز ١٩٥٨ حصل اهتمام بالتاريخ الكردي، إذ أفرزت خمسة مقاعد للدراسات الكردية في الاتحاد السوفيتي، ومن بينها مقعدان للدراسات التاريخية، فقدمت أوراقي وسافرت إلى موسكو. وكان لديهم نوعان من شهادة الدكتوراه. حصلت على الأولى العام ١٩٦٣، وعلى الدكتوراه الكبرى عام ١٩٦٩. وكان الجانب النظري هو الغالب على الأطروحة الثانية. وعلى العموم كان موضوعا الأطروحتين حول حركة التحرر للشعب الكردي. إلا أنه في واقع الحال كنت ميالاً إلى دراسة التاريخ القديم. ففي مرحلة البكالوريوس كنت متأثراً، إلى حد كبير، بعملاق تاريخ العراق القديم طه باقر، وكان يشعر بتوجهي وبميلي إلى مثل هذه الدراسة. لكن بعد الوصول إلى الاتحاد السوفيتي التقيت بالدكتور رحيم قاضي، ابن عم قاضي محمد رئيس دولة مهاباد ١٩٤٩، والدكتور علي كلاويش، وقد أقنعني الاثنان بحاجة التاريخ الكردي إلى الدراسة والتخصص عبر منهجية وعلمية. وهذا هو الذي غير اتجاهي في اختيار التخصص من دراسة تاريخ العراق القديم إلى دراسة تاريخ الشعب الكردي.

هل تجد ميزة أو خصوصية لدى المؤرخ العراقي؟

- بعيداً عن العاطفة الوطنية، لا أجد أن المؤرخين العراقيين وحدهم فحسب يتمتعون بخصوصية معينة، بل ذلك ينطبق على كل فروع الثقافة العراقية، إذا استثنينا العهد الأخير، الذي خرب كل شيء. وكذا الحال في مجال بقية العلوم، من الطب والمعمار وغيرهما. فكما يعلم الجميع فإن الأطباء العراقيين كانوا من العمالقة في مجالهم، وكذلك المعماريون، والمهندسون. ولدي رأي مفاده: أن الموروث الحضاري العراقي لم يتحقق اعتباطاً، فمَنْ يسكن مثل هذه البلاد، بلاد ما بين النهرين، لا بد أن يكون متميزاً. لماذا؟ أرى أن الواقع الغني جغرافياً وحضارياً يفرز مثل هذا التميز. ولا أقول ان العراقيين أفضل البشر، لكن للبيئة دورها وأثرها. فليس اعتباطاً أن يخترع العراقيون الكتابة قبل المصريين بقرون. دائماً أقول إن أية جماعة بشرية، من أي الأقوام كانت، تسكن هذه البقعة من الأرض، وتعيش الظروف نفسها لا بد أن تصبح جماعة متميزة.

حسب قراءتك للتاريخ، إلى أي مدرسة من مدارس البحث التاريخي تنتمي؟

- أنا أنتمي إلى المدرسة الواقعية، ومؤمن جداً بالتحليل التاريخي، وليس انتقاصاً من مؤرخينا وطلبة هذا العلم أقول بصورة عامة ان دراساتنا التاريخية تفتقر إلى حد ما إلى التحليل، وتغلب عليها العواطف والهواجس الشخصية. وهنا أتذكر قولاً لفولتير: إذا كانت مهمة المؤرخ أن يروي لي ما حدث على ضفاف (أورورا)، وأن انتصر القائد الفلاني، أو اندحر القائد الفلاني على ضفاف التايمس فأني لست بحاجة إلى فضل هذا المؤرخ، لأنني أتمكن من القراءة؛ بل ما أريده هو التحليل، وهذا هو الجانب الذي ينقص العديد من الدراسات التاريخية. لكن، بدأ طلبة التاريخ العراقيون بالتركيز على التحليل، وبوجه خاص في كلية الآداب- جامعة بغداد، وبدأنا نقدم رسائل الماجستير، وأطروحات الدكتوراه التي تعتمد التحليل أساساً للأحداث. وخلاصة القول أنا في النهاية أنتمي إلى المدرسة الواقعية التحليلية.

أرى أن على المؤرخ الاهتمام بعصر رواية الخبر أو الحادثة أيضاً، وليس بالضرورة أن يكون الطبري، على سبيل المثال، صادقاً أو كاذباً في نقلها، لأن روايته هي الأخرى تعبر عن حقبة زمنية بعيدة عنا ولها ظروفها وصلتها بعصر الرواية الأصل. وسؤالي هو: هناك رأي يدعو إلى إعادة كتابة التاريخ بذريعة ما علق به من شوائب، فهل تراها دعوة ممكنة التحقيق؟

- أولاً ما طرحته هو عين الصواب، فعلى المؤرخ المعاصر الاهتمام بزمن ومكان نقل الرواية، ومَنْ يأخذ عنهم، بمعنى أن يأخذ الحدث في إطار زمان المؤرخ ومكان كتابة الرواية أيضاً، فلا يمكن اعتبار الحدث التاريخي زمن الطبري هو عينه زمن جواد علي مثلاً. إلى جانب ذلك، يجب أن يكون المؤرخ أميناً في طرح مادته، ولكن للأسف أن العديد من المؤرخين غدوا عبيداً لمادتهم وانفعالاتهم الشخصية والحزبية بصورة آلية.

كنت خائفاً أن أدعى إلى مثل تلك الجلسات، فكنت سعيداً عندما أُهمل اسمي في البداية. لكن، قادت الصدفة، وفي جلسة من الجلسات الخاصة بتاريخ إيران، أن عددا من طلبتي السابقين الذين أصبحوا أساتذة، طرحوا اسمي، واخبروه بأطروحاتي المختلفة عن الأطروحة الرسمية، وقالوا له ان كمال مظهر أحمد هو الذي وجهنا هذه الوجهة. وعندها أمر صدام بإحضاري في الجلسة اللاحقة.

ذهبت إلى المقابلة، وقد رُفع شعار إعادة كتابة التاريخ كثيراً، رفعه صدام حسين على نطاق واسع. وهو يقصد بإعادة الكتابة بأن هذا التاريخ ليس فيه شخصه، ولم يشر إلى دوره، وعليه أن يُكتب من جديد بالاتجاه الذي يخدم أفكاره. لكن، من جانب آخر أن إعادة كتابة التاريخ تكون ضرورية. وعلى سبيل المثال لا الحصر: أن من أكثر التواريخ تشويهاً واضطراباً هو تاريخ الشعب الكردي، لذا لا بد من إعادة كتابة هذا التاريخ وفقاً للحقائق التاريخية لا وفقاً للأهواء والميول، وقد تتأثر تلك الحقائق بالاكتشافات الجديدة أو الأدوات الجديدة. بمعنى إعادة كتابة التاريخ بالتاريخ نفسه من دون خلق تاريخ جديد لا صلة له بالواقع.

أنت عشت فترة صدام حسين فما هي درجة الإيذاء الذي أصاب علم التاريخ والمؤرخ نفسه في تلك الفترة؟

. بطبيعة الحال، مَنْ عاش داخل العراق تحت سطوة صدام حسين، وظل يمارس عمله، فلا بد أن ظروفه كانت صعبة للغاية، وخصوصاً في مجال التاريخ والمجال الأكاديمي عموماً. فليس لك قول ما تشاء، وكتابة ما تشاء بل ليس لك التفكير بما تشاء. أعطيك مثلاً: دُعينا إلى مقابلة صدام، وهي واحدة من مقابلات جرت مع مؤرخين، عشرة في كل مقابلة. تُطرح فيها أسئلة من قبله، وتناقش من قبل الآخرين. وهي كما أراها فكرة جيدة، ولا بأس أن يهتم رئيس الدولة بشأن التاريخ وأن يستمع لآراء المؤرخين. ومع ذلك كغيري كنت خائفاً أن أدعى إلى مثل تلك الجلسات، فكنت سعيداً عندما أُهمل اسمي في البداية. لكن، قادت الصدفة، وفي جلسة من الجلسات الخاصة بتاريخ إيران، أن عددا من طلبتي السابقين الذين أصبحوا أساتذة، طرحوا اسمي، واخبروه بأطروحاتي المختلفة عن الأطروحة الرسمية، وقالوا له ان كمال مظهر أحمد هو الذي وجهنا هذه الوجهة. وعندها أمر صدام بإحضاري في الجلسة اللاحقة.

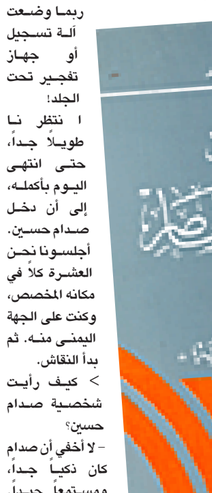

مع وصية زوجتي لي بمحاولة عدم الكلام في المناقشة؛ وطريقة الذهاب هي أن تذهب بسيارتك إلى مكان محدد، ومنه تؤخذ مع زملائك التسعة في سيارة خاصة (باص) مغلقة النوافذ، لا تعرف إلى أين ستتوجه بك. وصلنا إلى ذلك المكان وجُردنا من كل شيء، من الساعة إلى الملابس كاملة، ما عدا اللباس الداخلي، الذي يكشفون ما تحته أيضاً عند فحص الجسم. بدأوا بتفتيشنا وفحصنا شبراً شبراً، وكنت أجريت عملية فتق، فلما لاحظوا الخيوط انتبهوا وسألوا عن ذلك. ولا أخفي عليك أنني كنت مضطرباً! وقلت انها عملية فتق لكني نسيت في أي جهة كانت من جسدي، ولم أجب عن سؤال: في أي جهة كانت العملية؟ حتى نظرت إلى محل العملية. كانوا يعتقدون بأنني ربما وضعت آلة تسجيل أو جهاز تفجير تحت الجلد!

ا نتظر نا طويلاً جداً، حتى انتهى اليوم بأكمله، إلى أن دخل صدام حسين. أجلسونا نحن العشرة كلاً في مكانه المخصص، وكنت على الجهة اليمنى منه. ثم بدأ النقاش.

كيف رأيت شخصية صدام حسين؟

- لا أخفي أن صدام كان ذكياً جداً، ومستمعاً جيداً. لكن، ومع شديد الأسف لم يُكرس هذا الذكاء بتجاه الخير للعراق. والله لو فعلها لحول العراق إلى جنة عدن. أقول هذا مع علمي أن عدداً من الناس لا يرتاحون عندما أقول ان صدام كان ذكياً ومستمعاً جيداً! غير أن المشكلة تكمن في اعتقادي بتدخل المنافقين حتى جعلوه ينسى نفسه، وصوروا له أن كل ما يفعله هو الحقيقة الكامنة في ذاته.

استمعت إلى ما قاله زملائي، وفيه ما فيه من المغالطات حول إيران والشعب الإيراني، بعدها توجه صدام نحوي فسألني: أريد منك مداخلة في الموضوع! قلت: إذا جردت نفسي من العلمية والأكاديمية فستكون لي حساسية تجاه إيران، لأن كل الأنظمة في المنطقة تشكل مصدر خطر على الشعب الكردي، إلا أننا كدرد نتقارب نفسياً مع الإيرانيين، ونتحدر من أصول واحدة، فالأسهل لنا الذوبان في منطقة إيرانية من الذوبان في منطقة عربية. كان ذلك في عام ١٩٩٩، وصدام كان لا يزال واثقاً من نفسه. حقيقة تحدثت بلغة العلم، وكنت محتمياً بطلبتي وزملائي من البعثيين. انتبه لي صدام جيداً، وبعد الانتهاء من كلامي قال: دكتور أعتذر لا يمكنني الاتفاق معك! وبالطبع، إنه أمر مذهل أن لا يتفق صدام مع شخص ويتركه طليقاً! وفي خاتمة اللقاء قال صدام: سيوزع السكرتير عليكم وريقات، تكتبون فيها أي شيء يطرأ على بالكم، وسألبي طلباتكم حسب الإمكان. وقد كتبت كلمة أطلب فيها فتح الحوار مع القيادات الكردية، لأنها مخلصة وتؤمن بالوحدة العراقية، وهي ليست عميلة لأي طرف كان، وأن إعادة بناء الجسور أمر ضروري، فالوحدة العراقية الآن ناقصة، ومما ذكرته في الورقة: «اقترح على سيادتكم اللقاء بالمحايدين ببغداد من أمثال: الأستاذ إحسان شيرزاد، وخسرو توفيق، ومحمد الملا عبد الكريم المدرس، ومكرم الطالباني وغيرهم».

كأستاذ جامعي، استمررت في التدريس بعد سقوط النظام، هل لمست تغييراً في الأطر الجامعية والأكاديمية عموماً. هل استغلت الحرية التي حصل عليها العراق بشكل صحيح؟

- كان سقوط النظام حلماً لدى الأغلبية الساحقة من الشعب العراقي، ما عدا القلة المستفيدة، وهي مع ذلك كانت تعيش الازدواجية، ففي الباطن تتمنى زواله وفي الظاهر تهتف بحياته. كنا قد علقنا آمالاً جساماً على زواله، بعد أن تخلفنا عن ركب الحضارة كثيراً، وأصبحنا جهلة بمعنى الكلمة. لا فضائيات ولا انترنت ولا وسائل اتصال حديثة أخرى. وحدث أن سألني أحد الأصدقاء من العاملين في مجال الصحافة: «ما هو رأيك بالمؤرخ في عهد الإنترنت»؟ قلت له: «هل ستنشر رأيي إذا أجبتك»؟ قال: «أحاول»! قلت: «وهل أعرف الانترنت حتى أرد على سؤالك»؟!

إلا أن الفرصة ضاعت وسط أخطاء الأمريكان، وهي أخطاء فادحة، وفي مقدمتها كان حل الجيش. لماذا يُحل الجيش بهذه الطريقة. أتذكر أنني كنت ألقي محاضرات في جامعة البكر العسكرية، حول إيران والاتحاد السوفياتي، وعلمت أن معظم الضباط الكبار، من طلبتي هم من المغضوب عليهم. لماذا لم يحاولوا الاستفادة من تلك العناصر في استتباب الأمن؟ ومع ذلك، وردا على سؤالك، الدنيا ما زالت بخير في المجال الأكاديمي، رغم عشرات القتلى من زملائنا. فطلبة كلية الآداب - جامعة بغداد - من الدراسات العليا مواظبون على الدوام بشكل منتظم رغم قسوة الظروف، ويعملون بحوثهم بشكل منتظم، وقدموا مجموعة من الرسائل والاطروحات الجيدة عالمياً.

منذ ١٩٩١، أصبحت كردستان أشبه بكيان دولة، ألم تفكر حينها أو بعد ذلك بالاستقرار هناك بدلاً من التعرض للمخاطر ببغداد؟

. بقدر ما أعتز بمشاعري القومية الكردية أعتز بمشاعري الوطنية العراقية. وكنت قد التحقت بالحركة الكردية عام ١٩٧٤، برسالة خاصة من القيادة الكردية، حيث جاء في الرسالة: أن الملا مصطفى البرزاني يعتبر حضورك ضروريا. إلا أني عدت إلى بغداد بعد فشل الحركة، ولم أهاجر مع مَنْ هاجر إلى الخارج، وكان معي: فؤاد عارف، ودارا توفيق، وكمال محيي الدين. إلا أنني ندمت على العودة وذلك بسبب المعاملة القاسية، وعدم الالتزام بما أملنا به السفير العراقي بطهران، حيث فصلت من رئاسة المجمع العلمي الكردي، وأعدت إلى كلية الآداب، ولم يلتزموا بما أخبرونا به من تغيرات إيجابية تجاه الشعب الكردي، بل حولت أطنان من الوثائق الخاصة بالتاريخ الكردي وتراثه إلى معمل الورق أمام أعيننا. إلا أن بقائي ببغداد استمر ضمن الشعور بالانتماء العراقي من جهة، ومن جهة أخرى عندي أجيال من الطلبة، هم بالنسبة لي مثل الأبناء والأحفاد. يصعب عليَّ تغيير المكان بعد هذه التجربة الطويلة، والحياة المليئة بالعلاقات والوشائج.

جريدة الشرق الاوسط 2004

كمال مظهر... دوحة راسخة الجذور

قلما وجدت نفسي في حرج من أمري كما أجدها اليوم. فالرجل الذي نحتفي ونحتفل به دوحة راسخة الجذور في منابت الفضيلة أخرجت في الضوء فروعاً سامقة تجتليها العيون على بعد يعين فيه نظر المتأمل فيختل لديه تمييز زهرها من ثمرها، ويشتبك عليه نورها بنوارها. لكن الناظر غانم على علات الأحوال، فأياً كان نصيبه من رفد الدوحة ما خلت يده عن خط مستأنس بالنار في ليلة مقرورة لعله يأتي منها بقبس أو يجد على النار هدى.

مسعود محمد
باحث كردي بارز

ولقد أمدتني صحبتي الحفية الثرية بمفتاح لمغاليق كنوزه ورموزه فعلى مدى استطالة معايشته ومعاشرته، وبمقدار التغلغل في شجونه وفنونه، تنفرج زاوية فيضه للبصر والبصيرة، حتى إذا استيقن من تمام انكشاف ضميره، انطلقت نفسه من عقد الاحتجاب، فسالت في الأسماع وذابت في الآفاق إلى حيث تستقر عبر القلم والقرطاس في الوعي الظاهر والباطن لعامة قرائه ذخراً مستوفياً لحسن التواصل، حريصاً على أمانة التبليغ مستزيداً في ضخ العطاء، ممتنعاً من هوى التأويل، وتلك أشراط القيومة على الريادة في محشر الاستنباط والاستكناه من مهرجان النور. ما سألته قط عما إذا كان تفرغه للتأريخ من باب الاختيار أم من حسن الصدف، فالتأريخ حدث وتطور وتطلع، فما كان منه حدثاً فقد سهل أمره لدخوله في باب الرواية وأقصى حظها من مراتب الاعتبار بعدها عن التلفيق ويتداعى منه معكوسة الويل وهو التضليل الذي قد يعيث فساداً في الأفكار والأرواح آلاف السنين. والبشرية كلها تتجرع غصص الحدث المضل إلى يومها هذا، لا علاج لها من ذاتها ولا أثر لوجود العلاج من خارج غصص الحدث إلا أن يكون استهلاك المرض نفسه هو العلاج. فما أجَلّ الخطب وأقسى الكارثة من بلوى تمخضت بها الإنسانية نفسها، وهي بؤرة الضوء الوحيدة في الطبيعة كلها، ولا انتهاء من هذه المناحة إلا بالتواري منها إلى فرجة راحة... وهل من راحة...؟

ولا أدور بكم في الحلقات المفرغة للحدث ما سرّ منها وما ساء وما حاد، وكم منها نفخ النفس الأمارة، أو تألّب الشر المبيّت من مقرّيص: فربّ مُشعوذ فتن شعوباً، وربّ شعوب أغرت بنفسها مشعوذاً؛ أم كان الصنم يتكلف النطق ليضلل؟ فعبدوه؟

أما التطور التأريخي الذي هو التطور الاجتماعي نفسه فأنه خليق أن يستقطب آراء متباينة من سبب حدوثه، ولكن يمكن الخلاص من حجاجه بالرجوع إلى المزايا التي تفصل الإنسان عن البهيمة من حيث أنه وحده من جميع الخلق قطع مراحل في سلم التنامي الاجتماعي، فانتقل من بدائية حياة الكهف والغابة إلى ريادة الفضاء، وتلك بديهية لا تحتمل المناقشة وأظهر خلة اتسم بها البشر فارقة بينه وبين الأحياء هي العقل، وقد خرج به عن حكم الغريزة المكررة لنفسها أبد الدهر إلى مراح الاستدلال، وتركيب الصور والحوائج في إدامة الحياة، ومحاولة البقاء بانتماء مطرد إلى تحسين الوسائل وابتداع الحيل. وما كان من حكم طبيعة الأشياء أن يستجيب جسمه إلى طموح العقل فيعتدل شكلاً وقواماً، ويزداد قدرة في توفير القوت ورد العادية وتوسيع الإدراك فحقق معجزتين لولاهما النطق من حيث الأهمية، فقد عجزت الهمهمة والبغام والزقزقة عن تبليغ إرهاصات العقل. وكانت الثانية تقابل الإبهام مع الأصابع الأربع الأخرى في اليدين خلال مدة تحسب بمئات ألوف السنين، فلولا هذا التقابل لتعسر إيلاج الخيط في سم الخياط أو الإمساك بالسهم في الرماية وتضاعف الجهد المبذول في إقامة حائط عشرات المرات ولزم فيها بدل اليوم الواحد شهر وشهران. إنك إذا حدقت من أطوار البشر هذا التقابل بين الأصابع قلبت جل اختراعاته الرائعة فخاخاً لتعطيل الفطنة ، وشراكاً لتقييد فاعليته فلا تستطيع يد ماهرة أن تمتد إلى أي جهاز ميكانيكي بغية تصليحه أو تشغيله. فلا مهرب لعاقل من حتمية رد التطور التأريخي إلى فاعلية الإنسان بكل قابلياته الرائعة والمروعة فهو نفسه التأريخ والاجتماع والعلم والجهل والحرب والسلم والقاتل والمقتول بأفانين من صنع الخير وبديع الخيال وجمال البراعة أشكالاً وألوانا يجاوز فيها استطاعة الملائكة، وقد يرد نفسه أسفل سافلين طبقات وطبقات تحت قعر الجحيم... عوفي من مخلوق منتفض على نفسه هو المثل الأعلى فيما أبدع صانع المعجزات. والتطلع هو استشفاف الغد على سبيل الترجيح من دواعي الواقع الراهن مضافاً إليه على سبيل الاحتمال ظهور أمور كانت كامنة أو حدوثها من ممكنات كانت غير متوقعة. وليس لأحد أن ينتظر من غد تصديق موحيات اليوم بأكثر من تصديق اليوم لموحيات أمس.

كل هذا الذي قلته وما تجنبت الخوض فيه من حيثيات التأريخ محسوب حسابه وموزون نصابه في مهب المنطق الحي الذي يقيس به كمال مظهر نشاط الانسان؛ فهو يكتشف وجه الصواب من رواية ما بزيادة النبض في مصادرها لاختيار أشكلها بروح عصر الحدث، وأجراها مع السلائق، وأخلاها من عقد التكلف، ثم هو يترك منزعاً في شد القوس تأهباً منه لقبول أضعف الاحتمالات، إذا ثبت على وجه من الوجوه أنها كانت خيار التأريخ برغم التأريخ، كأن يكون ملك مهووس بالحمام ترك جيشه للضياع ريثما يشبع رغبته من تمليس جناح، أو نتف ريشة ناتئة، وقد علمنا أن نيرون كان يعزف على آلة موسيقية، وينظم مكسور القريض، وهو منشرح بالتفرج على حريق روما.

كمال مظهر مؤرخ يشرح لك الماضي كلاً مترابطاً يتنفس ويختلج، ولا يتناوله كما يفعل الطبيب بتشريح جثة أو يفعل القصاب بخروف مذبوح، فلا الجثة الهامدة هي الرجل الذي عرفناه يكوّع العصيّ في إدامة الحياة، ولا الخروف هو هذه الأوصال المقطعة في فترينة البيوع والشراء فلقد كان يمشي ويغني ويعلف، كذلك كان التأريخ في آوانه يتحرك غير مؤطر بسياج من العقلانية الفلسفية أقامها حوله نابغة مشغوف اللب بترتيب المقدمات والنتائج على ورق أملس، فورب الكعبة لأن تكون البشرية هي هذا الخليط المتراكم من مخلفات العصور يأخذ بعضها بخناق بعض ويسطو فيه الجار على جاره ويمضغ متكلموها جملاً خالية من الهدف أقرب على التوقع من انتظام الصفوف وتناسق المجهود وتناغم الجمل في الاسعاد والتنمية بريادة حكيم ينثر درره من فوق منبر خطابة.

إن المؤرخ كمال مظهر أنقذ نفسه من قبضة الأحكام المسبقة والقواعد المقولبة والحتمية النابعة من مصدر متعين بالذات، وهداه ضميره إلى نشدان الحقيقة مهما تكن مرة فلا أمل في شفاء المريض بإنكار علته ولامفعول لدواء أماله التحيّز؛ واستحال صدق مذهب فلسفي أو سياسي في مآل البشر إلا إذا كان الله يغفر الذنوب جميعاً.

كمال مظهر في ميزاني ثقيل ثقيل، نبيل نبيل، جليل جليل، ويزداد من كل ذلك ثقلاً إلى ثقل، ونبلاً إلى نبل، وجلالاً إلى جلال، شهراً بعد شهر، ويوماً إلى يوم، وساعة بعد ساعة. فهو الآن أجلّ منه قبل دخوله القاعة، وقس عليه من ازدياد جلاله الساعة واليوم والشهر باطراد. بل أنى انتقل إلى واحدة من صفاته هي إحدى تكئات البرهان على واقع حاله، فقد ولجتُ من خلال الكلام عن علمه إلى هو امش ملفتة بليغة إنسانية، والعلم شيء مكتسب كان من الممكن ألا يكتسب لحاجب بين الرغبة والمأمول، لكن "الوفاء" جبلّي وجزء من الكيان المعنوي للبشر، ومراتب الناس من هذه الصفة متفاوتة بين رفيع ووسيط وهابط وفاقد، فالذي أراه من وفاء كمال مظهر حالة اتحاد وحلول بين صفة وموصوف لا انفكاك بينهما، فلو تكلّف ضد طبعه باستدباره الوفاء لغاية في نفس يعقوب لوجد نفسه يستدير ليتبع الوفاء إلى عدو مستقتل، سلّم عليه بحرارة منذ سنين مرة واحدة، فأراه من هذا الباب تلميذاً علاقاً لأبي ذرّ الغفاري في قوله المشهور لشخص مسّه بكلام جارح: يا هذا لا تقذع ودع للصلح موضعاً فإنا لا نكافىء من عصى الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه؛ إلا أن هذا الذي أشرت إليه في خفض جناح الذل مرحمة حين يكون شخصه مساءً اليه، ينقلب إلى جهاد المستميت إذا أسيء في الغياب إلى فاضل يعرفه عن قرب، أو أهينت قيمة يقدسها في أساسيّات عقيدته، أو تشوهت في حضوره أحداث ومواقف بكلام المستغرضين؛ فهو لا يهادن في هذه الكبائر حتى يتوب المكابر إلى سواء السبيل. وهو في هذا النهج من السلوك حدّيّ وجذريّ ومتناه إلى يقين لا يُعاد فيه النظر رغم ما في الثبات عليه من كلفة باهظة، تنوء بها طاقة الاحتمال، وتُغرى بشيء من مسامحة الذات في إغماض النظر. ولكني أدرك فيه شعور الراحة النفسية والرضا عن الذات بالثبات على المعانة النبيلة، فهو يكافئ نفسه بنفسه في مقاضاة هو الشاهد والمدعى عليه والحكم والمحكم، ولا أرى الأشياء سلباً وإيجاباً إلا في نقطة واحدة هي في دلالتها كبيرة، فهو أنشط مني في اختلاق العذر للمسيء إليه، وأنا أكتفي بإسقاطه من حسابي، فالمسيء إليّ مختار فيما يوفر له الراحة قادحاً أو محتشماً أو معتذراً.

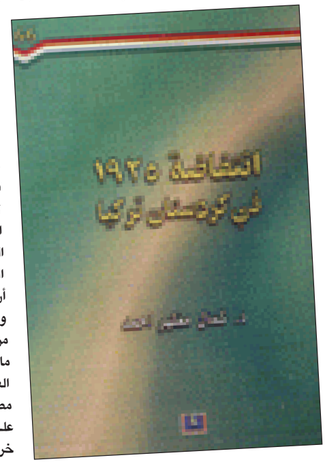

وتلك ظاهرة في سطوح معجزة الحياة سبقها منذ مليارات السنين تسرّب الحياة إلى المادة الميتة، مستبطنة في أقوى الاحتمال كل التطور اللاحق في الكم والكيف على سبيل الحتم الذي لم يكن له بديل.. مليارات الأسباب المتطاحنة رست على معادلات بدت منحازة لدوام الحياة رغم قسوة الطبيعة الهوجاء، فلا غرابة في توقف كمال مظهر عن الانسياق إلى راحة الإنكار لبدائع الحياة وروائعها، فهو اذ كان لا يسلّم بتسبيب حادثة عرضية، لم يستكمل نصاب الإقناع فلا ينتظر منه قبول انعدام السبب في وجود خلق وروعة تتجاوز جهة الإبداع، فبهما كل المسببات لجميع ما فعله الإنسان منذ تخلّقه لحين هذه اللحظة؛ ولتذهب ثورة فرنسا والبلشفية ومذبحة قصر النهاية بخيباتها إلى حيث ألقت.. فماذا عن كرامة الأسباب لخواتيم أهدرت القيم الإنسانية لعشرات السنين؟ وهل يصمد قبح ركام الجنوح السافر إلى جانب فراشة تلمع نقشة جناحيها في شمس الربيع؟

ويندّاح وفاء كمال على وجه البسيطة، فيرحم العجماوات ويكف عنها أذاه، ويعشق العشب والزهر والشجر في حنان يثير غيرة الجنس الآخر، ثم يتمادى حتى يشمل كتبه وقراطيسه وأقلامه بالعناية والرعاية وبزيادة حب تسلكها في قائمة الأحياء.. ويقدّس كتباً تمده من التأريخ بالخبر المنصف، لا سيما إذا كان الإنصاف يزكّي شعوباً ضعيفة غُلبت على أمرها ومنها الشعب الكردي؛ وها هنا يبدأ كمال جهاده الأكبر مع النفس في ألا تشتط إلى غمط شعب آخر من حقوقه، ومع الضمائر المعلولة من الأورمات الأخرى حين تستمرئ زيف الخيلاء في قهر شعب فاقد القدرة على ردّ العادية، والمزيف المتفاخر ملعون مرتين، فهو من ستر تفاهته بالتعالي على ضحايا القهر من أرومة غيره لن يُفلت بني قومه من شراهة نفسه الحقيرة، فهو لا يجد في كل زمان ومكان كردياً أو بلوجيا يمارس فيهم نذالته، فيواظب من باب الضرورة على الفسق بناس من أرومته هم في مقام ابيه وأمه وأخيه واخته وابنه وابنته، فإذا أفلت هؤلاء الأقربين، فإن جاره ينوب عنه في الفسق بهم فالكل من الهم شرق، والهم نفسه شرقي غير مستورد وموروث غير مستدل؛ فلا وجه لإقامة مناحة خلقية، نلقى باللوم فيها على شعوب ما وراء جبل قاف وجزائر واق الواق...

كمال مظهر في وفائه الكردي درويش مستوعب لحقائق الاجتماع، يرتعش بالجذبة الصوفية تصفية لما قد يعلق بقعر كشكوله من قشيرة أخطأت الطريق. وهو لا يفتأ يلتقط حبا هنا وسنبلا هناك سقط من خرم أو زلق من يد تعبانة، فهو حاوٍ من كل وجه ورافض من كل وجه في كفتي الإيجاب والنفي الميزان دقّ نابضه قبولا ورفضا.

كمال مظهر بادر أول ما تحفز للنزال القومي إلى التحصّن بسلاح الفكر والنظر، بعدما نزع من صدره رواسب الحساسية وقهّر في وعيه فجاءة الأخيلة المراهقة وكان، ربما، ساعده في نبذ القومية الاعتدائية "بواكر المداعبات الأمومية، فجاءت نافعة لا ضارة"، نفعت ليدخل محراب القومية المستنيرة بثوب ثقافي نظيف وحس انفعالي عفيف، لا إفراط ولا تفريط، دائب السعي على صراط مستقيم. وهو إذ خص الكرد وكردستان عصارة روحه وحرارة إيمانه ونور وجدانه، فقد امتثل فيه بكل قيمة إنسانية محترمة من دينية ودنيوية واستجاب لبداهة الأشياء من أن يصل أهل بيته وجيرانه من حوله، وناساً يتكلمون بلسانه وينحدرون من أصل واحد تعرضوا مثله لكوارث التأريخ منذ خمسة وعشرين قرناً، وتميّز جهاده كجهاد غيره من بني الكرد المناضلين بنكهة مميّزة هي كثافة الظلم المطبق على الوجود الكردي حيثما كان، فهو محكوم بالمروق والتمرد كلما تململ من أذى لا يطاق، ومفروض عليه أن يكون ولاءه الأول لأرومة الحاكم، ويحرم عليه ولاؤه لنفسه في أوطانه المحكومة خارج العراق حينما يصل الجحود إلى إنكار وجوده أصلاً. فلا يبلغنّ التوجس بأحد من نية الكردي قلب الدنيا عاليها سافلها فليس في منهجه ولا في طاقته مسُّ غيره بضرر أو أذى، فالعرقية الاعتدائية ترف يمارسه الأقوياء المدججون بالمال والسلاح ونفوذ الكلمة، وعلى قدر ما يستخلص من إيماءات الحاضر فليس من الأفق المرئي ظل احتمال متخيّل لانبعاث الكردي من هبة سحرية أسطورية، تفتق نسيج الواقع الراهن من الشرق الأوسط، ومن ورائه مصالح كبرى مسايرة لدوام الحال السائد فيه؛ وما حمل الكردي السلاح في ماضيه المرصود إلا مدافعاً عن نفسه، منتهياً بالضرورة إلى خسران عظيم.

فليس أمام الكردي غير خيار الكفاح المبني على العقلانية إذا سمح به أصحاب الشأن في أوطانه، وقد سلك كمال مظهر هذا الطريق بثبات و اقتناع، بعيداً من المسكنة والاستجداء، فقد دشنت تجاريب الأجيال إفلاس الرحمة في سوق السياسة، لا سيما في البلدان المتخلفة حيث يقتل الأخ أخاه على مقام مرصود موجود وراءه نَعَمٌ تشتهيها النفوس. وكل كلام بغير ذلك تخاريف غفلة أو فخاخ تصيّد وقد يكون تأنقاً في التعبير من باب جبر الخاطر؛ إن نظرة واحدة إلى الساحة العربية ذات العشرين علماً مرفوعاً في الأمم المتحدة، وصاحبة خزين النفط الأول في العالم، ومعبر خط الحضارة مشرّقاً ومغرّبا، وملتقى الجهات الأربع من بحرها الأبيض وقنالها الرابط بينه وبين بحرها الأحمر وخليجها اللاهب، فأين هي من مراتب الحصافة الحضارية والدراية التأريخية، ولم الشعث ورتق الفتق وتجاوز المراهقة السياسية؛ وذكر أن الذكرى تنفع المؤمنين؛ فهل يُلام الكردي إذا شط، وهو مغصوب العينين، ومشدود اليدين، وفاقد القدرة في الاختيار ومكره ضد مصيره؟ ثم هل ألام أذا ارتبط أملي بالتقدم الحضاري المذهل على نطاق العالم المتمدن للاقتناع بحلول يوم يتخلى فيه حامل السوط من تكاليف الحبس والإطلاق في تعامله مع الكردي، فلعل أن يكون لنا أمل من تأخر الأجل، ريثما نرى تباشير فجر يصدق نضال كمال وأمثاله من المؤمنين بإنسانية الإنسان، وقدسية كرامته، شعوبا وقبائل يتعارفون على الهدى والمرحمة فإنهم "...رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا". وسلام على المنصفين من العالمين.

سبق لهذا الموضوع ان نشر في كتاب للمؤلف سعود محمد عن الشخصيات الثقافية بعنوان "شخصيات عرفتها"

كمال مظهر باحث جاد وأستاذ نبيل

أثناء تكريمه من قبل حكومة اقليم كردستان ويبدو في الصورة د. برهم صالح

عبد الباسط سيدا

كمال مظهر مؤرخ جاد، واسم مرموق في ميدان الدراسات الكردية وتاريخ العراق الحديث. من القلائل الذين يجمعون بين وفرة النتاج العلمي والكفاءة المنهجية؛ هذا إلى جانب الأصالة والالتزام بالموضوعية. وقد أهلّته هذه السمات الراسخة لديه ليكون في مقدمة المؤرخين الكرد المعاصرين الذين تُعد آثارهم مصادر موثوقة، يعود إليها الباحثون في نطاق الدراسات ذات الصلة بالتاريخ الكردي المعاصر؛ أو تلك التي تتمحور حول تاريخ العراق الحديث.

وهنا أتذكر جيداً شهادات الأساتذة العراقيين الذين التقيت بهم في ليبيا ما بين عام ١٩٩١ و١٩٩٤، أولئك الذين وجدوا أنفسهم مضطرين للخروج بعد النتائج الكارثية التي حلّت بهم بعد حرب الكويت عام ١٩٩١. فهؤلاء على الرغم من ارتباطهم القسري – على الأغلب– بالسياسة الرسمية في ذلك الحين، كانوا يعبرون عن إعجابهم وتقديرهم لجهود الأستاذ الدكتور كمال مظهر البحثية، ويشيدون بدقته وأمانته العلميتين.

وما يضفي أهمية خاصة على نشاط مظهر البحثي الدؤوب في المرحلة المعاصرة هو معاناة الجهد التأريخي في الوسط الكردي، والعربي أيضاً، من التخبط والتعثر بين التفصيلات المملة، والخضوع لتوجهات النزعات المنغلقة على ذواتها بأوجهها المختلفة من سياسية وطائفية وقومية؛ وهيمنة القصور المعرفي، الناجم عن أحادية الرؤية، وتجاهل الحقائق والمعطيات التي لا تتناغم وتتوافق مع الرغبات التي تسيّر البحث، وتحدد مفاصله وأهدافه؛ أما النتائج فهي غالباً ما تتمثل في استخلاصات تفتقر إلى النزاهة المتسقة مع الوقائع، والتماسك المنطقي، الأمر الذي يؤدي إلى المزيد من الإرباك والإحباط في الوقت ذاته.

ولعل ما نواجهه من سيل المبالغات، والابتعاد عن الدقة على صعيد مادة البحث، والافتقار إلى المنهجية في سياق التعامل مع المعطيات؛ أو الوصول إلى خلاصات عجائبية لا تصمد أمام النقد الخبير؛ لعل كل ذلك يعتبر حصيلة منطقية منبثقة عن المقدمات الخاطئة التي ينطلق منها البحث التأريخي بين الكرد والعرب وغيرهما من شعوب المنطقة، التي تعاني من التخلف والفقر والدكتاتوريات بأسمائها وأشكالها المتعددة.

ومن باب التداعي، أذكر هنا حادثة جرت معي في أواخر الثمانينيات، وهي المرحلة التي كنت أعد فيها نفسي للانتهاء من أطروحة الدكتوراه التي ناقشتها لاحقا في قسم الفلسفة بكلية الآداب– جامعة دمشق عام ١٩٩١، وعنوانها: من الوعي الأسطوري إلى بدايات التفكير الفلسفي النظري– بلاد ما بين النهرين تحديداً؛ فقد جمعتني الصدفة وحدها مع أحد باثعي القطع الأثرية الذين لا يُحمد ذكرهم عادة، وذلك في مجلس أحد الأصدقاء. في تلك الجلسة وجّه الحضور إليّ جملة من الأسئلة حول التاريخ القديم للمنطقة وتداخلاته، في حين أن صاحبنا كان صامتاً طوال الوقت، يتابع ما نناقشه، وننبادل بخصوصه الآراء والتعليقات في إطار دردشة عامة –إذا صح التعبير– تتسم بها الجلسات العفوية عادة. ولكن فجأة وجدته منتفضاً ليواجهني بسؤال غير متوقع قائلاً: هناك مملكة كردية أصيلة ظهرت في المنطقة قبل أكثر من أربعة آلاف سنة هل تعرفها؟ نظرت إليه مستغرباً مبتسماً، لاعتقادي بأن الكرد من أكثر الناس إهمالاً لهاتين المرحلتين على الرغم من أهميتهما القصوى وخطورتهما التي لا تُقاس. فترائنا هو شفوي في جلّه –لأسباب وعوامل لا مجال لتناولها الآن– وهو تراث غني حافل، لكنه يتعرض – وما زال– لإهمال قائل، أدّى إلى اختفاء جزء كبير منه مع رحيل أولئك الذين كانوا يحتفظون به في صدورهم.

كم من لجان طوعية أهلية أو رسمية شُكلت لتوثيق هذا التراث وتصنيفه، ليكون مادة أولية لمؤرخي المستقبل؟ كم من هيئة أو مجموعة بحثية تأسست لتبنّي مسألة توثيق اليوميات الكردية، توثيق تقتصر مهمته على ذكر مآسي الكرد، والإجراءات الاضطهادية التي تطبق بحقهم من دون توقف؟ كم من لقاءات جادة نظمت بين المهتمين بمثل هذه الموضوعات لتبادل الخبرات والمعارف، وتقديم الإمكانيات اللازمة لمن يحتاج إليها من الجيل الجديد؟ تساؤلات تطرح وتستوجب التمعن والتأمل من قبل أصحاب الشأن.

دُعيت إلى فيينا لإلقاء محاضرة حول حريق سينما عامودة الذي كان في ١٣ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٦٠، وكعادتي قبل كل محاضرة، هيأت نفسي قدر المستطاع احتراماً للحضور الكريم الذي من حقه على المحاضر أن يسمع كلاماً مفيداً، يثق بمصداقيته. ولبلوغ ذلك بحثت عن مادة معرفية يمكن الاعتماد عليها بعيداً عن القيل والقال؛ وقصص الخيال الشعبي التي غالباً ما تبتعد عن الحقيقة مع التقادم الزمني، وتحت تأثير المشاعر وطغيان الانفعالات. لم أجد أمامي سوى كتاب المرحوم ملا أحمد نامي المؤلف بالكردية وعنوانه وفق الترجمة العربية: حريق سينما عامودة؛ إلى جانب كتاب المحامي حسن دريعي: عامودة تحترق، وكنت قد قرأتهما مرات عدة، ومع ذلك أعود إليهما باستمرار حينما يتصل الأمر بسينما عامودة، على أمل الوصول إلى إجابات أكثر إقناعا بخصوص الأسئلة المفتوحة. هذا إلى جانب شذرات عابرة عثرت عليها في الكتاب الهام الذي يُعدّ بالفعل جهداً توثيقياً لمرحلة معاصرة لم يطلع عليه القسم الأكبر من الجيل الكردي الشاب ، والكتاب المعني هنا هو من تأليف الأخ سامي ملا أحمد نامي وعنوانه: صور من التاريخ المفقود، فالكتب الثلاثة تشكّل مع بعضها جهداً هاماً يمكّن من تكوين تصور أولي يلامس ما حدث بالفعل، هذا على الرغم من الانتقادات التي قد توجه إليها، وبصرف النظر عن الثغرات التي تعاني منها. ولكن السؤال الذي يفرض ذاته هنا، و يخص ما نحن بصدده، هو: كم عدد الحوادث والمآسي والآلام التي تعرض لها الشعب الكردي، وذهبت في أدراج الرياح، وكأنها لم تكن؟ أي حدث لا يُوثّق لن يبقى في ذاكرة الأجيال؛ وكل ما لا تعيه ذهنية الذات العارفة لا يُقرّ بوجوده. نحن غالباً ما نقفز من فوق مراحل التوثيق والتنصيف، ومن ثم المعاينة والمقارنة، والتأمل والتمعن، لنصل مباشرة إلى مرحلة استخلاص النتائج وإصدار الأحكام القيمية المتناغمة مع الرغبات غير المشبعة، أو التوجهات السياسية الآنية، الموائمة لتطلعات هذا الزعيم، أو ذاك المدغدغة لعواطف الناس وحسهم الجيّاش.

في الصيف الفائت حضرت فعاليات المؤتمر الدولي الـ ٥٤ للأشوريات الذي احتضنته جامعة فيتزبورغ بألمانيا في الفترة ما بين ٢٠ إلى ٢٥ تموز/يوليو ٢٠٠٨، ترأس المؤتمر الباحث الألماني الشهير غرنوت فيلهلم الذي يُعد الباحث الأول على الصعيد العالمي في ميدان الدراسات الحورية؛ وقد ترجم الأخ الأستاذ الدكتور فاروق اسماعيل مشكوراً كتابه الهام في هذا المجال إلى اللغة العربية، وصُدر عن دار جدل عام ١٩٩٦ تحت عنوان: الحوريون– تاريخهم وحضارتهم. ما يدفعني إلى هذا الاسترسال هو أن الدراسة المتأنية للتاريخ الحوري من مختلف الوجوه، خاصة ما يتصل منها بالانتشار والثقافة واللغة، تدفع بالباحث إلى اعتماد نظرية فحواها أن الحوريين هم من الشعوب القديمة التي ربما تشكل منها الشعب الكردي لاحقاً. وقد ناقشت هذا الأمر مع الأخ فاروق وغيره من الباحثين القلائل في هذا الميدان. إلا أن هذه النظرية تحتاج إلى جهد بحثي مكثّف على مختلف الأصعدة قبل أن يتمكن المرء من اعتمادها.

على أي حال، أعود إلى مؤتمر الأشوريات المشار إليه. حيث جمعتني الفرصة مع باحثين شابين واعدين من سوريا، وآخر شاب كردي من كردستان العراق؛ وكان المناخ مواتياً لنخوض معاً في جملة من الموضوعات، علمية وسياسية وغيرها؛ وكان التفاهم هو سيد الموقف، الأمر الذي يوحي بآمال كبرى، ويعزز الثقة بالأجيال المثقفة الشابة، هذا على الرغم من المنغّصات التي واجهها هنا وهناك.

ما لفت نظري في الباحثين الشابين الواعدين هو ابتعادهما عن التعصب والرغبة في التواصل مع الآخر المختلف، هذا إلى جانب الحس الوطني السليم الغيور على الوطن وأهله. أما ما استوقفني في الباحث الكردي الشاب كما أسلفت فهو الهدوء والتواضع المشوب بالخجل المؤدب، وابتعاده عن الغرور والادّعاء، على الرغم من معرفته الواعدة، وإمكانياته البحثية التي تبشّر بالخير. تناقشت معه بخصوص الحوريين باعتباره طالب دكتوراه في ميدان الدراسات اللغوية الخاصة بالحوريين؛ وكان الاتفاق هو الأساس فيما بيننا من جهة ضرورة وأهمية متابعة البحث الجاد الذي ينبغي أن يشمل سائر المجالات وعلى كل المستويات. قلت له: إذا كنّا نقرّ بالأصل الحوري للكرد، فعلينا أن نثبت ذلك بالقرائن العلمية، ودخل إلى قاعة هذا المؤتمر، و نعلن على الباحثين المختصين القادمين من جميع أنحاء العالم نتائج بحثنا، ونكون على استعداد للمناقشة، والاستماع إلى الآراء المخالفة، نتفاعل معها، ونرد على التساؤلات بنَفَس علمي يمتلك القدرة على إعادة النظر في خلاصات بحثه إذا ما اقتضت المعطيات ذلك.

أما بالنسبة إلى كمال مظهر فالأمر مختلف تماماً، فهو يعتمد مادة جديرة بالبحث، ومن أجل كل ما تقدّم، تُعتمد كتابات كمال مظهر من قبل جموع الباحثين؛ وهي تمثل مادة بحثية، تمتلك مصداقية معرفية تؤهلها لتكون لَبنات الزوايا في بناء التراكم المعرفي الذي نحن بأمس الحاجة إليه من أي كان.

المؤرخ الكردي العراقي المعاصر كمال مظهر مؤمن مطالب بالحوار العربي الكردي، وذلك استناداً إلى الاحترام المتبادل. يدعو إلى الوطنية العراقية على قاعدة الاتحاد الاختياري، والاعتراف بحق تقرير المصير. لذلك فهو يشدد على ضرورة الإقرار بالخصوصية الكردية؛ لأن الكرد ليسوا أقل من ٢٠٪ من سكان العراق، وهم مكوّن سكاني قديم قدم التاريخ المعروف للمنطقة لا يمكن تغافله أو تهميشه. وانسجاماً مع هذا التوجه، يعاتب مظهر الاخوة العرب من باب "أنهم ربما يعرفون تاريخ كل العالم، لكنهم لا يعرفون تاريخ الكرد".

كمال مظهر أحمد الحاج رسول من أهالي السليمانية، من مواليد ناحية اغجلر تابعة للواء كركوك عام ١٩٣٧. حصل على البكالوريوس بمرتبة الشرف من جامعة بغداد عام ١٩٥٩. حصل على درجة الدكتوراه من أكاديمية العلوم السوفيتية عام ١٩٦٣، ودرجة دكتوراه ناووك من الأكاديمية نفسها عام ١٩٦٩.

أصدر أكثر من ٥٠ كتاباً؛ إلى جانب الإشراف على العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه؛ إلى جانب اشتراكه في مناقشة الكثير منها؛ هذا بالإضافة إلى جهوده النبيلة في المجمع العلمي الكردي، ومختلف اللجان والهيئات العلمية التي عمل في إطارها.

من أهم مؤلفاته:

١ – كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى، ط١، ١٩٧٧– ط٢، ١٩٨٤.

٢ – ثورة العشرين في الاستشراق السوفييتي، ١٩٧٧.

٣ – أضواء على قضايا دولية في الشرق الأوسط، ١٩٧٨.

٤ – دور الشعب الكردي في ثورة العشرين العراقية، ١٩٧٨.

٥ – النهضة، ١٩٧٩.

٦ – الطبقة العاملة العراقية، ١٩٨١.

٧ – ميكافيلي والميكافيلية، ١٩٨٤.

٨ – صفحات في تاريخ العراق المعاصر، ١٩٨٧.

٩ – كركوك وتوابعها: حكم التاريخ والضمير، ٢٠٠٤.

هذا إلى جانب كتابه المنتظر حول القضية الكردية في الوثائق البريطانية.

هذه هي بعض عناوين كتاباته باللغة العربية، أما كتاباته باللغة الكردية فهي الأخرى كثيرة، يمكن للباحثين العودة إليها، والاستفادة منها.

عراقيون
من زمن التوهج
العدد (2319)
السنة الثامنة
الخميس (1)
كانون الاول 2011

العلامة الدكتور كمال مظهر
ذكريات أيام بغداد

زين احمد النقشبندي

مع كاتب المقال

كثيرة هي الذكريات التي مازالت عالقة في الذهن عن احاديث العلامة الدكتور كمال مظهر احمد استاذ التاريخ الحديث والمعاصر في قسم التاريخ – كلية الاداب – جامعة بغداد.

تعود بداية معرفتي بالدكتور كمال مظهر احمد الى منتصف السبعينيات القرن الماضي حيث كنت من المتابعين لما يكتب في جريدة التاخي اليومية عن نضال الكرد وثوراتهم في العراق وايران وتركيا ومن حسن حظي ولاتني كنت منذ فترة شبابي المبكر قد عشقت وواظبت على قراءة الكتب ، بل واصبحت من المدمنين عليها كما كان يطلق علي احد الاصدقاء ويكرر دائما (بابا موزين على عينك ارحمها هلكت تقرا ، روح العب واتونس احسلك من القراءة) نعم هكذا كان يقول لي هذا الصديق الذي الان اصبح احد العاملين بالتعليم وفي احد الايام من عام ١٩٧٥ عرض علي احد اصحاب المكتبات من الذين اتعامل معهم مجلة كنت اتصورها كتاب لكبر حجمها وتجليدها واتقان طبعها ولكنها في الحقيقة كانت العدد الاول من مجلة المجمع العلمي الكردي العراقي الصادرة عام ١٩٧٣ وكان من ضمن الذين كتبوا في هذا العدد الدكتور كمال مظهر بحث بعنوان (كردستان خلال الحرب العالمية الاولى) ومنذ ذلك الحين ولحد صدور العدد الاخير من مجلة المجمع الكردي الذي انتهى به الحال ان اصبح الهيئة الكردية في المجمع العلمي العراقي لم اترك اي عدد يصدر دون ان اقتنيه وفي بداية التسعينيات عندما كنت مشغول في البحث (تاريخ الايجدية الكردية) تعرفت عن قرب اولا على المرحوم الدكتور عبد الرحمن معروف وهو بدوره اخذني من كلية التربية الى كلية الاداب جامعة بغداد وعرفني على الدكتور مظهر مما اخذ عن هذا اللقاء ان المرحوم الدكتور معروف قال كاكة زين مع الاسف لايجيد التحدث بالكردية ولكنه لديه معلومات جيدة وكبيرة عن الكرد وتاريخهم وهو يكتب في بعض الصحف وكانت تلك نقطة التحول في العلاقة مع الدكتور كمال مظهر حيث كان الدكتور له في الاسبوع يوم او يومين يعطي فيها محاضرات لطلبته في قسم التاريخ وكنت انا حالي حال الكثير من طلبته ومحبيه من الذين لايتركون هذه الايام دون اللقاء به وتوطدت العلاقات بيننا وكنت التقي به في مكتبه بكلية الاداب كل اسبوع تقريبا

وكان يقوم دائما بدعوتي الى مناقشات الاطاريح طلبة الدراسات العليا التي يكون غالبا هو رئيس لجنة المناقشة او المشرف ، اضافة الى المحاضرات التي كان يلقيها في المواسم الثقافية لبعض الجمعيات والنوادي الاجتماعية والثقافية ببغداد مثل جمعية المكتبات او النوادي مثل نادي الارمن الثقافي وتقريبا لم تفتني الا ما ندر اي رسالة دكتوراه او ماجستير نوقشت او محاضرة القاها الدكتور خلال هذه الفترة من بداية التسعينيات ولغاية احداث عام ٢٠٠٣ وخلال هذه الفترة اجريت معه اكثر من لقاء نشر في حينه في بعض الصحف اليومية او الاسبوعية ومما اذكره من هذه اللقاءات ان رايه في ثورة العشرين انه قال (لاجدال في الأهمية التاريخية الكبرى لثورة عام ١٩٢٠ التحررية فانها واحدة من أهم الأحداث التي هزت الوجود البريطاني في العراق ودشنت بداية مهمة لحركة واسعة تطورت باستمرار الى ان تمكنت في الاخير من وضع نهاية للهيمنة الاجنبية على مقدرات البلاد وكان ذلك يكفي لجلب انظار المؤرخين العراقيين والاجانب الى ثورة العشرين فقلما يوجد حدث في تاريخ العراق المعاصر حظي بالبحث والدرس بصورة علمية وإذا استثنينا حالات نادرة فان المؤرخين لم يستفيدوا حتى الان من وثائق الثورة لدراسة احداثها كما ينبغي والانكى من ذلك ان يد الباحثين والعراقيين والاجانب لم تمتد حتى الى مئات الوثائق البريطانية الخاصة بثورة العشرين. فبوسع الباحث الفطن ان يتوصل الى اسرار وحقائق مهمة من خلال المعلومات الواردة بين ثناياها وثنايا مئياتها في دار سجلات وزارة الخارجية الفرنسية ففي القسم الخاص بـ (بلاد بين النهرين) البريطاني عام ١٩٢٠ يدرك عمق صدى هذه الثورة على الصعيد الخارجي وبوسع دراسة جادة للصحافة العربية والفرنسية والتركية والفارسية الصادرة سنة (١٩٢٠) ان تعطينا تصوراً أشمل حول الموضوع ومايجدر ذكره بهذا الصدد ان المشرفين على أعمال مؤتمر شعوب الشرق الذي انعقد في مدينة باكو في أيلول سنة ١٩٢٠ تغير موقفهم إذ بدأوا يولون الشعب العراقي ونضاله أهتماماً أكبر من بقية شعوب الشرق الاوسط بفضل انفجار ثورة العشرين فانعكس اسم (بلاد ما بين النهرين) وموضوع (نضال فلاحيها) ضد البريطانيين ونهب المستعمرين لثروات (ميسو بوتاميا) في كلمات الخطباء ومقررات المؤتمر على نطاق واسع.

وان الحقائق التي اسلفناها وغيرها تبين بصورة مقنعة في ما نعتقد ان تواجب مهمة من هذه الثورة لاتزال بحاجة ماسة الى ان تدرس بصورة علمية منها على سبيل المثال لا الحصر (دور الفلاحين في ثورة العشرين) ودور المرأة في ثورة العشرين و (مواقع المدن في ثورة العشرين) و (خطط الثورة العسكرية) و (وثائق ثورة العشرين) و(ببلو غرافيا ثورة العشرين) و(ثورة العشرين في الوثائق البريطانية) و(ثورة العشرين في الوثائق الفرنسية) و(احداث ثورة العشرين في وثائق المركز الوطني الوثائق) و(ثورة العشرين في الصحافة العربية) و(ثورة العشرين في الصحافة البريطانية) و(ثورة العشرين في الصحافة التركية والفارسية) و(احداث ثورة العشرين في جرائد العراق بيشكة وتن- التقدم- ونجمة كركوك) و(الدعاية المضادة أيام ثورة العشرين) و(الانعكاسات الادبية لثورة العشرين) وغيرها.

وان مكانة ثورة العشرين بالنسبة لتاريخنا لا تختلف كثيراً عن مكانة ثورة عام ١٧٨٩ الكبرى بالنسبة لتاريخ فرنسا، فلولها عشر معشار ما يولونها من اهتمام وهنا اقتصر على ذكر عدد قليل من الشواهد المعبرة ففي الفترة الواقعة بين عامي ١٨٣٤ و١٨٣٨ أي في غضون اربع سنوات فقط نشر مؤرخان فرنسيان كتابا وثاقيا عن الثورة الفرنسية يقع في (٤٠) مجلداً، وفي أواسط القرن الماضي نشر الاشتراكي الطوباوي الفرنسي واحد زعماء ثورة ١٨٤٨ لوي بلان (١٢) مجلداً تحت عنوان (تاريخ الثورة الفرنسية) وفي العام ١٨٨٦ ثم تأسيس كرسي الثورة الفرنسية بجامعة السوربون ثم تتابع ظهور الجمعيات والمؤسسات والمجلات الاكاديمية الخاصة بدراسة كل ما ينطق بأدق تفاصيل الثورة وجزاياتها فان الجنة جمع ونشر وثائق الثورة الاقتصادية) التي أسست في مطلع القرن العشرين نشرت وحدها وخلال تسعة أعوام فقط من نشاطها (٥٧) مجلداً جديداً عن الثورة الفرنسية وبعد فترة أسست جامعة السوربون (معهد تاريخ الثورة الفرنسية).

وكان دائما يؤكد على ان العديد من رسائل طلبتنا لا تقل شأناً عن رسائل أفضل الجامعات فرغم ظروفهم الصعبة يقدمون نتاجاً علمياً يضاهي بل وحتى يفوق أحياناً أفضل النتاجات العلمية المماثلة في الجامعات الغربية ، لمناسبة صدور دراسة أمريكية عن الحزب الوطني الديمقراطي ، قال ان رسالة الدكتور عادل تقي البلداوي للماجستير عن (الحزب الوطني الديمقراطي في العهد الجمهوري الأول ١٩٥٨-١٩٦٣ أفضل بكثير منهجاً وتحليلاً واستنتاجاً ومصادر من رسالة الماجستير للباحثة الأمريكية جينب سنفلتوت المعنونة (الحزب الوطني الديمقراطي العراقي في العهد الملكي) التي طبعها مركز الجارجي للبحوث في لندن إنني على سبيل المثال أشير فقط إلى النقطة الأخيرة أي ما يتعلق بمصادر الرسالة للباحثة الأمريكية، انها لم تستخدم ولا وثيقة أمريكية واحدة مع العلم ان الوثائق الأمريكية طافحة بالمعلومات الدقيقة والنادرة عن الحزب الوطني الديمقراطي والعديد من أقطابه ولاسيما كامل الجارجي كما انها استخدمت وثيقتين أو ثلاث وثائق بريطانية فقط بصدد موضوعها مع العلم ان الوثائق البريطانية أولت موضوعها اهتماماً استثنائياً فان السفير البريطاني في بغداد كان يتابع نشاطات الجارجي حتى أنه زاره مرة في داره وان العمود الفقري لدراسة الباحثة الأمريكية من حيث المصادر هو مذكرات كامل الجارجي وكتاب الدكتور فاضل حسين عن الحزب الوطني الديمقراطي وكتاب حنا بطاطو وان مجموع مصادرها الأساسية لا يبلغ أصابع اليد الواحدة تلك المصادر التي تؤلف بالنسبة لرسالة الدكتور البلداوي مجرد غيض من فيض، ولكن على ما يبدو ان مغنية الحي لا تطرب وحتى ان الكتاب ينطوي على أراء تبدو غريبة للقارئ العراقي المتتبع من ذلك على سبيل المثال:

١- في الصفحة (٢١) (الا أنه لم يكن زعيماً سياسياً يسحر الجماهير) في معرض حديثها في مقدمة الكتاب عن الجارجي.

٢- في الصفحة (٨٣) (فان العوامل الداخلية وعلى وجه الخصوص شخصية الجارجي أعاقت جهوده كذلك) في معرض حديثها عن الأسباب التي أعاقت الحزب الوطني الديمقراطي في فعاليته على الساحة السياسية.

٣- في الصفحة (٨٥) (كان افتقار الجارجي إلى ملكة الخطابة صفة أخرى من صفاته التي حدت من فاعليته كزعيم سياسي وطني) وتذكر في الصفحة (كان الجارجي بطبيعته سياسي صالونات ولم يكن زعيماً يسحر الجماهير) هذا الذي يتنافى مع الواقع ولا يمكن ان يقبل به أي وطني عراقي.

٤- في الصفحة (١٢٠) (شعر الحزب الوطني الديمقراطي الذي لم يعرف عنه تركيزه على القضايا القومية) مع العلم ان الدكتور البلداوي كان قد افرد فصلاً كاملاً عن موقف الحزب الوطني من القضايا القومية وكذلك الجارجي كتب في مذكراته القيمة صفحات كثيرة عن القضايا القومية والتي تحمل شخصياً الكثير بسبب هذه المواقف خصوصاً عندما سجن ثلاث سنوات بسبب موقفه المشرف من العدوان الثلاثي على مصر ووقوفه إلى جانب الشعب المصري ورئيسه جمال عبد الناصر.

٥- في خاتمة بحثها (الرسالة) وعن الأسباب التي أعاقت الحزب الوطني الديمقراطي وحدت من فعاليته، في الصفحة (٤٨) (عدم امتلاك الجارجي الصفات التي تجعل منه بالطبيعة زعيماً سياسياً جماهيرياً يضاف إلى هذا ان عزله لنفسه داخل حزبه كان أمراً يضر به خارج الحزب أيضاً.

٦-وكما انه (لم يكن دينامیكيا كشخصية سياسية بحيث يترجم هذا الاحترام إلى قوة) في معرض حديث الباحثة الأمريكية عن الاحترام الواسع الذي كان يتمتع به. وكان قد ذكر لي ايضا في منتصف التسعينيات أنه يشرف الآن على سلسلة من رسائل الماجستير والدكتوراه لجامعيين من الجنسين تكشف المزيد من أسرار تاريخ العراق الحديث والوطن العربي فالباحثة عفراء عطا عدت رسالة دكتوراه عن نلسن مانديلا وحياته وكما هو معروف بقي ٢٧ سنة في السجن، والآن هو شخصية عالمية ولديه مواقف ايجابية معروفة، والطالبة عفراء متمكنه جداً ومتابعة بحرص وقد استطاعت الحصول على معلومات مفيدة عن طريق الانترنيت والعديد من المسؤولين المقربين من شخص مانديلا ولدينا أمل ان تنتهي من مهمتها وتناقش الاطروحه في غضون أقل من سنة وفي الكلية نفسها أشرف على رسالة ماجستير مهمة للدبلوماسي الأديب المعروف عبد الحسين الرفيعي الذي يكتب عن دور النخبة القانونية في الحياة الفكرية والثقافية في العراق، من عام ١٩٠٨ (أي منذ عهد الاتحاديين في الدولة العثمانية) إلى ١٩٣٢ أي نهاية عهد الانتداب البريطاني. فقد أدت النخبة القانونية دوراً متميزاً للغاية في هذا المضمار وربما يكفي ان أشير إلى ان توفيق السويدي هو العراقي الوحيد الذي اشترك في المؤتمر العربي الأول الذي انعقد في باريس في حزيران ١٩١٣م وكان يوم ذاك يدرس القانون في السوربون لا يخفى ان المنتمين إلى النخبة القانونية في تلك المرحلة أدوار دوراً متميزاً في نشاطات المنظمات والجمعيات والأحزاب السرية والعلنية كما في الصحافة وفي المعارضة البرلمانية وغيرها لذا لا أشك بان هذه الرسالة سوف تحدث صدى طيباً في الوسط الثقافي العراقي وهي متممة لأطروحة الدكتوراه التي كتبها عبد الرزاق النصيري عن دور المجددين في الحياة الفكرية والثقافية في العراق عن المرحلة نفسها.

واضاف حينها حالياً أشرف على رسالة ماجستير مهمة لطالب تونسي هو نوري الدين عن تأثير الفكر الناصري على أقطار الخليج العربي، في المرحلة الممتدة بين أعوام ١٩٥٢-١٩٧٠، وهي رسالة ضخمة انتهينا من إعدادها وتقع في أكثر من ٣٢٥ صفحة وتنطوي بدورها على معلومات فريدة في غاية الأهمية استقى الطالب قسماً غير قليل منها من وثائق غير منشورة ستطرح لأول مرة، ومن أناس عملوا مع شخص جمال عبد الناصر، وأغلب الظن ان هذه الرسالة سوف تناقش في غضون الشهر القادم، متممة لأطروحة الدكتوراه التي كتبتها الدكتورة بثينه عبد الرحمن التكريتي قبل سنوات في كلية الآداب جامعة بغداد عن نشأة الفكر الناصري تلك الأطروحة التي وجدت صدى واسعاً في أوساط النخبة العربية فقد طبعها مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت في كتاب مستقل قومته الصحافة العربية تقويماً رفيعاً وقد نفدت الطبعة الأولى وأعيد طبعها مرتين ولا أشك في أنه سوف تظهر له طبعات أخرى في المستقبل القريب، وعلى الغرار نفسه أشرف حالياً على أطروحة دكتوراه ورسالتي ماجستير في معهد المؤرخين العرب.

أما الأطروحة فهي عن محمد عبده، لطالبة الدكتوراه ذكرى الجبوري وهي بدورها دراسة فكرية تحاول ان تتصدى لحياة محمد عبده وإبداعاته على أساس تحليلي تنطوي على الجديد والمفيد في هذا المضمار الذي يكتب دون شك أهمية استثنائية في أيامنا هذه التي نشهد فيها تهجماً غير منصف من الغرب على العالم الإسلامي وقيمه اما رسالتا الماجستير فإحداهما للطالب عصام كاظم عن (دور النواب الكرد في عهد الملك فيصل الأول) أي من عام ١٩٢١ حتى عام ١٩٣٢ وهي تنطوي على أشياء جديدة غير معروفة إلى حد كبير ومن أفضل صفحات هذه الرسالة انها تبين الدور الايجابي الذي أداه النواب الكرد في تأسيس الدولة العراقية المعاصرة، والرسالة الأخرى هي لطالب الماجستير دارا جمال غفور التي تتحدث عن الدور الإداري والسياسي للشخصية المعروفة محمد أمين زكي في العراق منذ عودته من اسطنبول عام ١٩٢٤ حتى وفاته في عام ١٩٤٨م فلقد أدى محمد أمين زكي دوراً متميزاً في مجلسي النواب والأعيان كما تولى مناصب إدارية عديدة في المعهد الملكي بما في ذلك الدفاع والمعارف والشؤون الاجتماعية، ولقد عثر الطالب على معلومات مفيدة ونادرة في الصحافة العراقية والعربية كذلك في الوثائق العراقية والبريطانية غير المنشورة.

وكان محمد أمين زكي من أشد المتحمسين للوحدة الوطنية العراقية على غرار التآخي الوطني السويسري الذي كان مضرب الأمثال في نظرة كما أكد ذلك الصحفي العربي محمد علي الحوماني والعراقي المرحوم شاكر علي التكريتي، إضافة إلى كل ما سبق كان لا يدخر وسعاً في تقديم شتى أنواع المساعدات لطلاب الدراسات العليا الذين يتخصصون في التاريخ الحديث والمعاصر إلى جميع الجامعات العراقية.

فقد كان يصرف من وقته وصحته ، كما كان يقول لي واشاهده عن قرب ومن خلال التجربة، فقد كانت اشاهده دائما لم يدخر جهدا في السوال والبحث عن المصادر الاجنبية لطلبته ويترجم لهم هذه المصادر ، وكان ينهض منذ الفجر او قبله كل يوم ليقوم بقراءة وتصحيح وتقويم رسائل طلبته ، وحتى التصحيح اللغوي ، فقد كان شديد الاهتمام بان تخرج الرسالة التي يشرف عليها قريبة من الكمال، وهذا الاهتمام سبب له الكثير من المشاكل مع الكلية والجامعة وحتى مع بعض زملائه من الاساتذة ، ومن هذه الاطاريح على سبيل المثال اطروحة بثينة الناصري التي اعدت اطروحتها عن الفكر الناصري المشار اليها انفا ، فقد ترك الدكتور بسبب موقف عمادة الكلية من الطالبة الدوام في القسم وقدم استقالته او كاد ثم نقل الى كلية التربية تاركا كلية الاداب وقسم التاريخ فيها و اساتذته الذي كان له ما له من مكانة في نفسه ، وما ترتب عليها من تداعيات وانعكاسات على صحته وتلامذته في تلك الفترة.

وتكثر وتتشعب الذكريات عن الدكتور كمال مظهر والفترة التي قضاها في كلية الاداب – جامعة بغداد والتي كنا شاهدين ومعاصرين ومطلعين على بعضها وربما تسمح مناسبات اخرى ان نكمل باقي الذكريات ولكن الشئ الذي احب ان أختم به هذه الشهادة انه كان لي شديد الامتنان ومن حسن حظي ان كتب لي الاستاذ الدكتور مظهر مقدمة كتابي الخامس المعنون (خلف شوقي الداودي من اعلام اليقضة الفكرية العراقية) المطبوع عام ٢٠٠٥ ببغداد وهي شهادة اعتز بها من مؤرخ وعالم عراقي كبير يمتلك خزينا كبيرا وله مكانته بين المؤرخين العراقيين.

كان قد ذكر لي ايضا في منتصف التسعينيات أنه يشرف الآن على سلسلة من رسائل الماجستير والدكتوراه لجامعيين من الجنسين تكشف المزيد من أسرار تاريخ العراق الحديث والوطن العربي فالباحثه عفراء عطا عدت رسالة دكتوراه عن نلسن مانديلا وحياته وكما هو معروف بقي 27 سنة في السجن

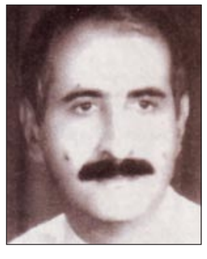

عراقيون
من زمن التوهج
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم
نائب رئيس التحرير
عدنان حسين
مدير التحرير: علي حسين
الاخراج الفني: نصير سليم
التصحيح اللغوي: نوري صباح
طبعت بمطابع مؤسسة
المدى
للإعلام والثقافة والفنون

الدكتور كمال مظهر احمد.. سيرة حافلة بالابداع

مؤرخ معاصر .. له حضور فاعل على الساحة الثقافية منذ أوائل السبعينات من القرن الماضي .. أستاذ جامعي ومؤرخ وباحث من الطراز الأول . له كتابات ودراسات نشر بعضها في الصحف العراقية والعربية والأجنبية . كما أجريت معه حوارات صحفية كانت معظمها تدور حول القضية الكوردية ولكونه كورديا كان يؤكد باستمرار على مبدأ ثابت عبر عنه أكثر من مرة وملخصه انه ((إذا لم أكن كرديا أصيلا فلن أكون عراقيا أصيلا)) .

ولد الدكتور كمال مظهر احمد الحاج رسول في قرية اخجلر وهي في ناحية تابعة للواء كركوك سنة ١٩٣٧ .

كان والده ضابط شرطة .

أنهى دراسته الثانوية سنة ١٩٥٥

دخل دار المعلمين العالية (كلية التربية فيما بعد) ببغداد وتخرج فيها سنة ١٩٥٩ .

حصل على البكالوريوس في التاريخ بمرتبة الشرف سنة ١٩٥٩ .

سافر الى الاتحاد السوفيتي السابق لإكمال دراسته العليا وحصل على الدكتوراه سنة ١٩٦٣ من معهد الاستشراق التابع لأكاديمية العلوم السوفيتية

حصل على دكتوراه ناؤوك من المعهد ذاته سنة ١٩٦٩ وهي أعلى شهادة معروفة في الاتحاد السوفيتي آنذاك .

عاد الى العراق وعمل مدرسا في قسم التاريخ بكلية الآداب ورقي إلى مرتبة الأستاذية سنة ١٩٨١ .

أعيرت خدماته الى المجمع العلمي الكردي وشغل منصب الأمين العام ومساعد رئيس المجمع للشؤون العلمية بين سنتي ١٩٧١ و١٩٧٥ .

كتب عنه صديقنا الأستاذ حميد المطبعي في موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين (الجزء الأول ، بغداد ، ١٩٩٥) .

اشرف على العديد من رسائل وأطروحات الدراسات العليا في جامعات عديدة وكانت معظم هذه الرسائل والاطروحات تدور حول الشؤون الإيرانية وقضايا تاريخ العراق المعاصر والسياسة التركية ومسائل الفكر والاستشراق والشخصيات التي قدر لها أن تقوم بدور مهم في تكوين العراق الحديث والمعاصر .

كان الأستاذ الدكتور كمال مظهر احمد يؤكد باستمرار على أهمية الأخوة العربية الكوردية ليس على مستوى الوطن فحسب وإنما على المستوى القومي . ومما كان يصرح به باستمرار أن الكورد كسبوا بعد دخولهم الدين الإسلامي الشيء الكثير فلقد ((تحولوا إلى عنصر مهم . من عناصر بناء الحضارة العربية الإسلامية والشواهد في هذا المضمار أكثر من أن تحصى ومنها مثلا جيش صلاح الدين الأيوبي ، فالمؤرخ عماد الدين الكاتب والمؤرخ ابن الأثير الذي قلما يلتقي مع عماد الدين كاتب صلاح الدين الأيوبي في هكذا قضايا يؤكد أن نحو نصف جيش صلاح الدين الأيوبي كان من المتطوعين الكورد وهناك شواهد أخرى كثيرة ...)) .

ومن مؤلفاته المطبوعة:

× كردستان في سنوات الحرب العالمية الاولى (طبعتان ١٩٧٧ . ١٩٨٤)

× ثورة العشرين في الاستشراق السوفيتي ١٩٧٧

× اضواء على قضايا دولية في الشرق الأوسط ١٩٧٨

× دور الشعب الكردي في ثورة العشرين العراقية ١٩٧٨

× النهضة ١٩٧٩

× الطبقة العاملة العراقية ١٩٨١

× ميكافيلي والميكافيلية ١٩٨٤

× صفحات في تاريخ العراق المعاصر ١٩٨٧

× كركوك وتوابعها : حكم التاريخ والضمير ٢٠٠٤

وكل هذه المؤلفات باللغة العربية . كما ان له مؤلفات اخرى باللغتين الكوردية والروسية.

عراقيون
من زمن التوهج